

الباب العاشر

طراز العصر الصفوي

(٩٠٧ هـ - ١٥٠٢ م) حتى (١١٣٥ هـ - ١٧٢٢ م)

ظهرت في إيران في بداية القرن السادس عشر أسرة إيرانية قوية مركزها مدينة أردبيل بشمال غرب إيران، وينتمي مؤسس هذه الأسرة الشاه «إسماعيل» إلى ولي فارسي يدعى الشيخ «صفي الدين» وعنه أخذت هذه الأسرة اسمها. تمكن الشاه «إسماعيل» في عام ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م من هزيمة قبيلة الشاه البيضاء التركمانية واتخذ تبريز عاصمة له، ثم استولى بعد ذلك على هراه بعد هزيمته للسلطان الأذربكي الشيباني حوالي عام ٩١٦ هـ، (١٥١٠ م) ونجح بعد ذلك في السيطرة على شيراز وسمرقند وبخارى، وبذلك تمت له السيطرة على إيران وأصبح المذهب الشيعي في عهده المذهب الرسمي للدولة الإيرانية لأول مرة.

نقل خليفته الشاه «طهماسب» (٩٣١ - ٩٨٤ هـ) (١٥٢٤ - ١٥٧٦ م) العاصمة من تبريز إلى قزوین في عام ٩٥٥ هـ (١٥٤٨ م)، ليتجنب هجوم الأتراك العثمانيين نصيري المذهب السني على العاصمة القريبة من الحدود التركية. ولكن الأتراك تمكنوا في النهاية من الاستيلاء على الجزء الجنوبي من أملاك الأسرة الصفوية، مما اضطر الصفويين إلى الارتداد إلى داخل حدود إيران الطبيعية.

نقلت العاصمة إلى أصفهان في عهد الشاه عباس الأول (٩٩٦ - ١٠٢٩ هـ) (١٥٨٦ - ١٦٢٦ م) وكانت من أجمل مدن الشرق الأوسط. ولقد استطاعت الدولة العثمانية في عهد خلفائه أن تحتل العراق التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الصفوية وكان ذلك في عام ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م)، وسرعان ما دب الضعف إلى الأسرة الصفوية في أواخر عهدها وسقطت أصفهان في عام ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) في يد الأفغان الذين تمكنوا من هزيمة الشاه حسين ونهب مدينة أصفهان. ولقد استمر بعض الأمراء الصفويين يحكمون - وإلى عشر سنوات بعد سقوط الدولة الصفوية في إقليم «ما زاندران» جنوبي بحر

قزوين . وتوالى على حكم إيران في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي دولة الأفشاريون ثم الدولة الزندية ثم الدولة القاجارية . ولقد استمر حكم هذه الأسرة الأخيرة لإيران عدة قرون ، إلى أن تمكنت الأسرة الحالية البهلوية من الاستيلاء على الحكم في عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) .

ازدهرت الثقافة والفنون الإيرانية في عهد الصفويين وظهرت حركة فنية كبيرة في العاصمة تبريز ، وما لبث هذا النشاط أن انتقل إلى قزوين عندما صارت العاصمة ، وتعرف هذه الفترة بالحكم الصفوي الأول . وفي الفترة الصفوية الثانية انتقل النشاط الفني إلى أصفهان بعد أن صارت مقر الحكم الرسمي في عهد الشاه عباس ، وصارت من أشهر مدن الشرق الإسلامي حضارة واستمر ذلك لمدة قرنين . ومن أشهر ملوك الدولة الصفوية الذين اهتموا بتشجيع الفنون ورعايتها الشاه « طهماسب » وحفيده « الشاه عباس » ولقد توطدت العلاقات التجارية والفنية في عهده بين إيران والصين وبينها وأوروبا .

العمارة :

لم يعثر على آثار من العمائر الصفوية التي شيدت في العاصمتين تبريز وقزوين في فترة الحكم الصفوي الأول . ولقد كتب المؤرخون كثيراً^(١) عن العمائر الضخمة المزينة بالبلاط الخزفي والتصاوير الجدارية التي شيدها الشاه إسماعيل وخليفته الشاه طهماسب الأول (٩٣١ - ٩٨٤هـ) (١٥٢٤ - ١٥٧٦م) على أن طراز العمارة الصفوية يتجلى واضحاً في مدينة أصفهان عندما صارت عاصمة ، حيث حرص الشاه عباس وخلفاؤه على توسيعها وتجميلها بعمائر فخمة .

عمارة المساجد :

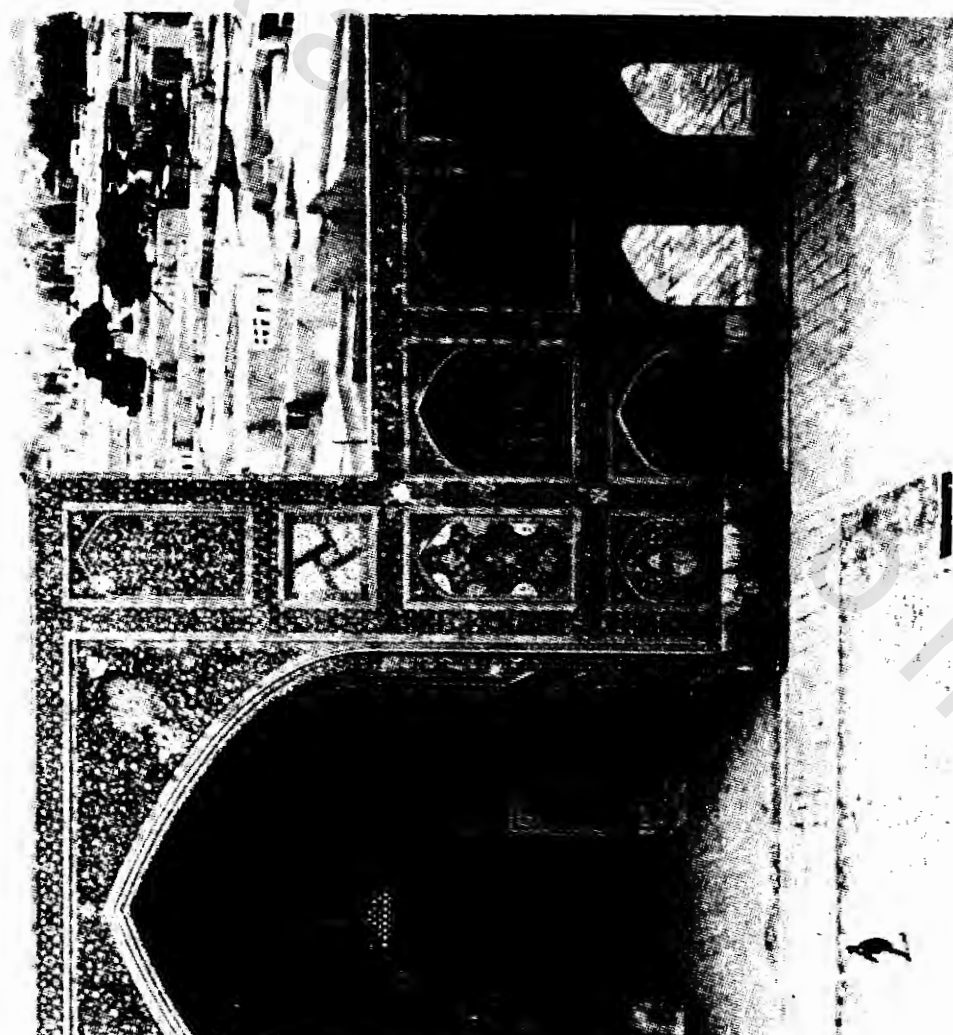
اتبع تصميم المساجد الصفوية النماذج الإيرانية السابقة . ومن المساجد الصفوية الأولى مسجد شيد في القرن السادس عشر الميلادي في عهد الشاه إسماعيل في مدينة « سافة » جنوب مدينة قزوين ، ويعتمد تصميم هذا المسجد على صحن يحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة الذي يتكون من قاعة كبيرة تعلوها قبة .

(١) انظر " ٣ أجزاء " Voyages du Chevalier Cardin en Perse, Paris 1811

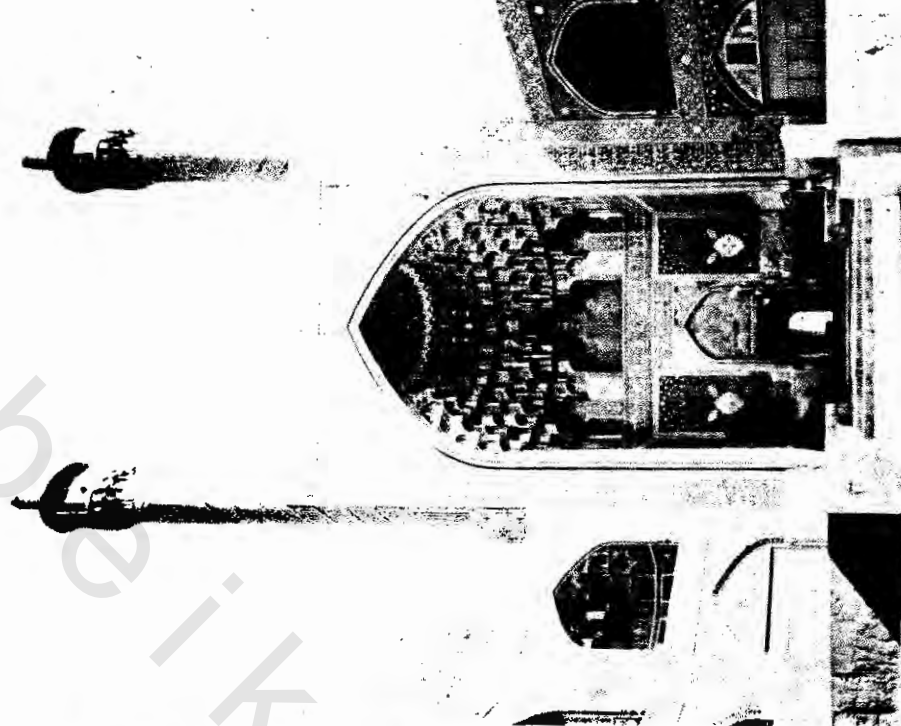


(شكل ٢٤٨)

ميدان الدماء عمار يوتيطة مسجد
الدماء . ومسجد الشيخ لطف الله
وقصر على قايو ، أصفهان



(شکل ۲۵۰)



(شکل ۲۴۹)

ومن أفخم المساجد الصفوية مسجد «الشاه» بأصفهان، ويعد هذا المسجد قمة ما وصل إليه المهندس في فن المعمار في إيران بعد تجارب استمرت مئات السنين . ولقد خططت مدينة أصفهان في عهد الشاه «عباس» ، وكان يتوسط المدينة ميدان كبير مربع عرف باسم «ميدان الشاه» استخدم للعبة الصولحان «البولو» . ويحيط بهذا الميدان (ش ٢٤٨) جدار من طابقين به بوابك ذات عقود مدببة سلجوقية الطابع، ويقطع هذه البوابك ثلاث بوابات عالية تؤدي إلى المباني المحيطة بالميدان: بوابة «على قابو» وكانت تؤدي إلى القصر الذي كان يقيم به الشاه وبلاطه ، بوابة «جامع الشيخ لطف الله» وكانت تؤدي إلى مسجد الشيخ لطف الله ، وبوابة «مسجد الشاه» التي تؤدي إلى مسجده (ش ٢٤٩) ، كما كان هناك أيضاً مدخل لسوق المدينة . وتقع بوابة «على قابو» بمواجهة بوابة «الشيخ لطف الله» من الجهة الجنوبية من الميدان . أما بوابة مسجد الشاه الكبيرة فتشغل حوالي ثلث الواجهة الجنوبية . ويلاحظ أن إيوان البوابة منحرف عن الميدان ليجعل للمسجد واجهة عليه ، ويقع بمواجهة مسجد الشاه مدخل السوق .

يتبع مسجد الشاه (١٠٢١ - ١٠٤٠ هـ) (١٦١٢ - ١٦٣٠ م) في أغلب عناصره الرئيسية الأسلوب السلجوقي الذي عرف في إيران قبل ذلك . حيث يتوسطه صحن متسع محاط بمبان ، من طابقين ذات عقود مدببة (ش ٢٥٠) كالموجودة بالميدان . ويتوسط كل ضلع من أضلاع الصحن ، إيوان مفتوح ملحق به قاعة تعلوها قبة، ولقد وجد هذا الأسلوب في مسجد الجمعة السلجوقي بأصفهان ومسجد مشهد . ويتميز إيوان القبلة في جامع الشاه باتساع كبير في الحجم كما تعلوه قبة سلجوقية الشكل (ش ٢٥١) .

ويكتنف مدخل المسجد المرتفع من الناحيتين مئذنتان طويلتان أقل ارتفاعاً من مآذن رواق الصلاة، ويلحق بهذا الجامع مدرستان تقع بين الإيوانين الجانبين وبين إيوان القبلة . وترجع شهرة هذا الجامع إلى زخارفه الداخلية الجميلة (ش ٢٥٢) كما أن زخارف الواجهة تعكس أهمية المبنى في الميدان ، خاصة إذا ما قورن بقصر «على قابو» الموجود بالميدان .

ويختلف تصميم مسجد الشيخ لطف الله الذي شيد ما بين عامي (١٠١١ -

(١٦٠٢ - ١٦١٨ م) كلية عن تصميم مسجد الشاه حيث يتكون من حجرة كبيرة مربعة تعلوها قبة [لوحة ملونة رقم ٩] وهو خلو من الفناء الأوسط والإيوانات . ويغطي جدران المبنى الداخلية والخارجية زخارف الفسيفساء .

ويعتمد تصميم قبتي جامع الشاه وجامع الشيخ لطف الله على تصميم القبة المزدوجة ، الداخلية صغيرة والخارجية كبيرة ، ويلاحظ أن ارتفاع قبة الشيخ لطف الله طبيعي كالذي وجد في عصر السلاجقة ، على حين نجد أن قبة مسجد الشاه أكثر ارتفاعاً مما يذكرنا بالقباب التيمورية بشاه زنده . وتحمل القبة أسطوانة بها نوافذ تملؤها زخارف جصية مفرغة على هيئة تفريعات نباتية متصلة « أرابسك » (ش ٢٥٣) وتسمح هذه الفتحات للضوء والهواء بالنفاذ إلى داخل المبنى .

الأضرحة والمدارس :

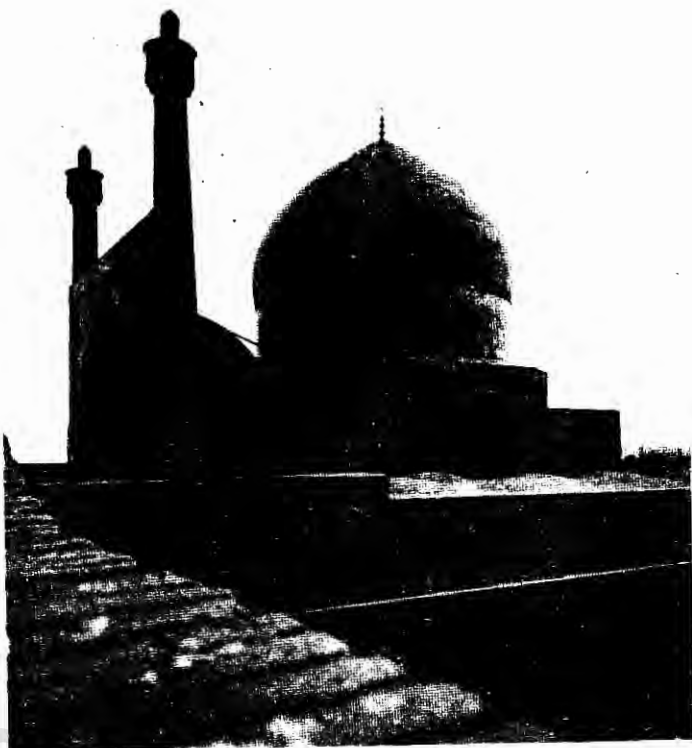
شيد الحكام الصفويون الأضرحة في إيران مع إدخال بعض التعديلات عليها . ففي غرب إيران أضيفت ردهة إلى القاعة ذات القبة ، في حين ظهر في شرق إيران أضرحة مثمثة الأضلاع . ومن أقدم الأضرحة الصفوية ضريح ومسجد الشيخ صفي الدين باردبيل الذي بدئ في تشييده في القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر الميلادي .

ويتكون هذا الضريح من مدخل ضخم يؤدي إلى حديقة مستطيلة توصل إلى مجموعة من المباني مشيدة في اتجاه منحرف عن ضلع الحديقة ، ويتوسط هذه المجموعة صحن داخلي . وتشتمل هذه المباني ، على الجامع القديم وهو مبنى مثنى الأضلاع تقع قبلته في مواجهة مدخله ، كما تشتمل على ضريح الشيخ صفي الدين الذي يقع إلى يسار الجامع . وهو يتكون من ضريح صغير ومصلى . ويوجد بالقرب من الضريح بناء ذو قبة يعرف باسم « البيت الصيني » شيد في القرن السابع عشر الميلادي ، ويغطي جدرانه الداخلية كسوة خشبية بها حنايا مختلفة الأشكال والأحجام لحفظ الأواني الخزفية الخاصة بالضريح .

ولقد أقيم في العراق في فترة الحكم الصفوي أضرحة فخمة لأئمة المذهب الشيعي في الكربلاء والنجف وسمرأ ، كما أن ضريح الكاظمية ببغداد تم تشييده في عهد

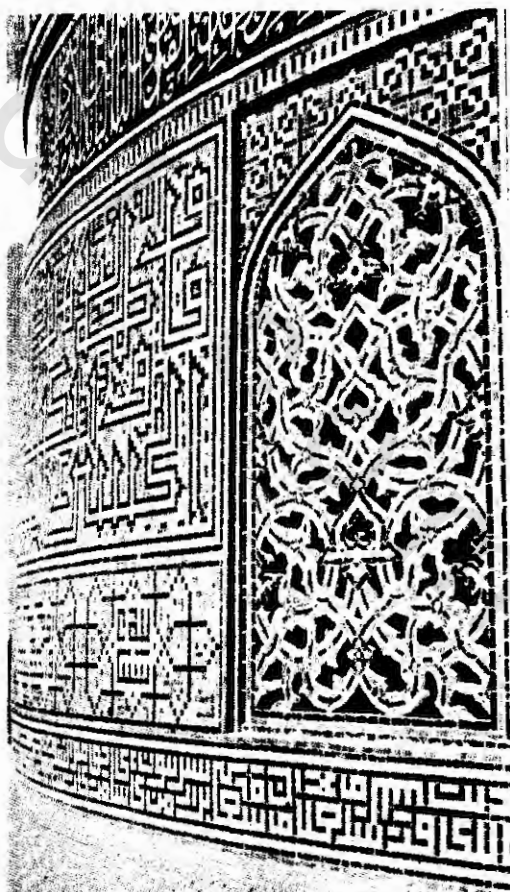
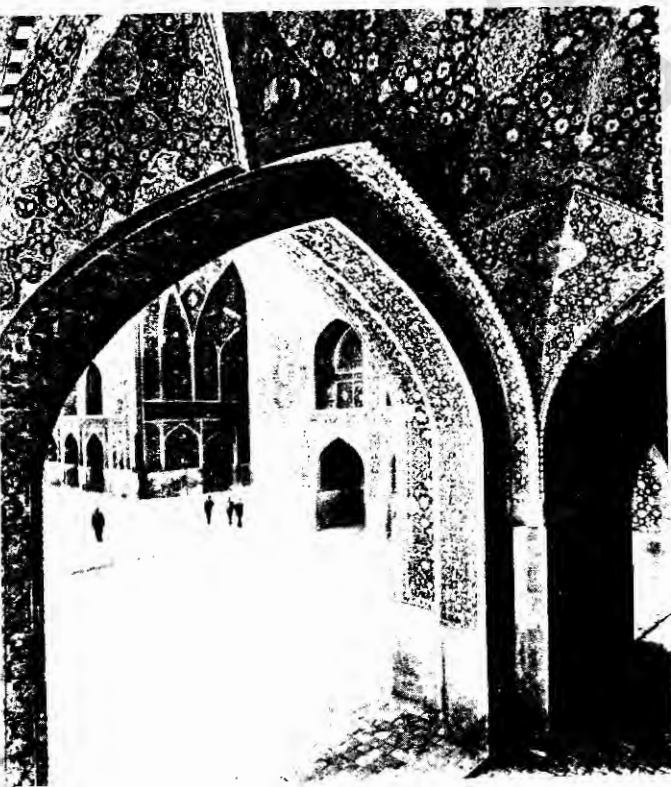
(شكل ٢٥١)

قبة مسجد الشاه عباس بأصفهان وتنطى
الإيوان الرئيسى ، عام ١٦١٦ م ،
إيران ، العصر الصفوى .



(شكل ٢٥٢)

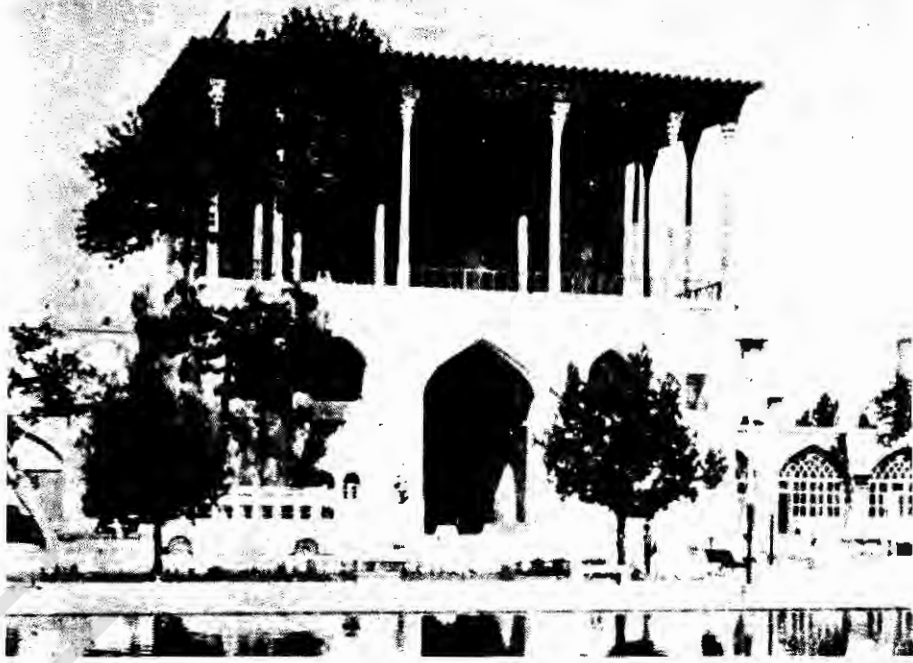
مسجد الشاه عباس من الداخل وتنطى
الجدران بلاطات خزفية ملونة . أصفهان



(شكل ٢٥٣)

الأسطوانة التى تحمل قبة مسجد الشيخ
لطف الله ، وتظهر بها زخارف خزفية
مفرغة . أصفهان .

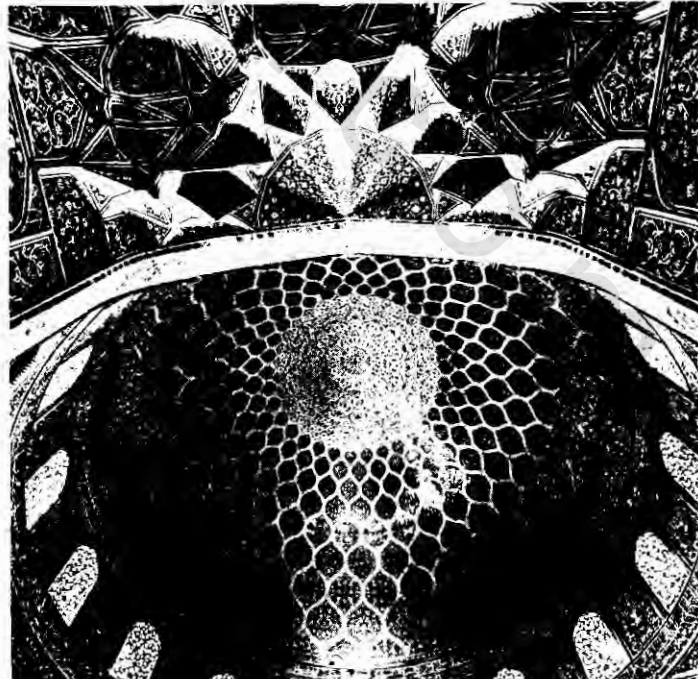
(شكل ٢٥٤)
قصر علي قابو ميدان الشاه ، أص



(شكل ٢٥٥)
قنطرة نهر زنده ، أصفهان حوالى
عام ١٠٠٩ هـ - ١٦٠٠ م .



(شكل ٢٥٦)
مقرنصات فى قبة مسجد الشاه عباس
بأصفهان .



الشاه عباس وكان تصميم هذه الأضرحة على الطراز الصفوى ، وهى تمتاز بقباب مدببة الشكل ومآذن أسطوانية مرتفعة .

ومن أشهر المدارس الصفوية مدرسة مادرشاه بأصفهان ، وقد شيدت فى عهد الشاه حسين « آخر الحكام الصفويين حوالى (١١١٨ - ١١٢٦هـ) (١٧٠٦ - ١٧١٤م) . ويتبع طرازها التصميم الذى عرف فى إيران ، الذى يتكون من صحن طويل يحيط به أربعة إيوانات فى طابقين ، ويتشابه إيوان القبلة مع إيوان مسجد الشاه . وتغطى قبة قاعة القبلة زخارف جميلة من الفسيفساء الزرقاء . ويعتبر هذا المبنى آخر المباني العظيمة التى شيدت فى العصر الصفوى .

عمارة القصور :

اهتم الشاه عباس وخلفاؤه بتشيد القصور فى مدينة أصفهان ، وقد اشتهرت هذه القصور بحدائقها الجميلة ومن أشهرها قصرا « جهل ستون » و « على قابو » . ويلحق بواجهة القصر الأول رواق مرتفع يستخدم فى الاستقبالات فى الصيف ، ويحمل السقف عدد من الأعمدة الخشبية . ويتوسط القصر قاعة العرش ، وتحيط بها قاعات صغيرة للسكن تتكون من طابقين . وتغطى جدران هذا القصر من الداخل تصاوير جدارية بموضوعات آدمية ونباتية .

أما قصر « على قابو » الموجود بالميدان فقد استخدم كمرکز للدولة ، وتظهر فى طابقه الثانى شرفة ويحمل سقفها أعمدة خشبية (ش ٢٥٤) .

اعتنى الصفويون أيضاً بتشيد الخانات وكان تصميمها يتبع عادة تصميم المدارس ، ولقد أضيفت إليها حجرات للنوم واسطوانات ومخازن للبضائع حول الصحن الذى يتوسط المبنى ، كذلك أقاموا قناطر على الأنهار تتكون مبانيها من طابقين ذوى عقود مدببة سلجوقية الطابع (ش ٢٥٥) .

الزخارف المعمارية :

الفسيفساء والبلاط الخزفى :

استخدمت الفسيفساء الخزفية فى تغطية الجدران الخارجية . ويظهر من تنفيذ زخارف الفسيفساء أنها نفذت بطريقة أبسط من الفسيفساء التى عرفت قبل ذلك

في إيران ، ومن أحسن الأمثلة على ذلك فسيفساء قبة مسجد الشيخ لطف الله الخارجية [لوحة ملونة رقم ٩] ، التي تتكون زخارفها من تفريعات نباتية متصلة « الأرباسك » ، ورسوم الأزهار ذات الألوان الجميلة . وتتميز هذه القبة باستخدام اللون الأخضر كأرضية لزخارف الفسيفساء . وتتشابه عناصر زخارف مسجد الشيخ لطف الله مع زخارف جامع الشاه ، إلا أن ألوان القطع في مسجد الشاه يغلب عليها اللون الأزرق . ولم يلبث الخزافون في أصفهان أن اهتموا إلى طريقة جديدة لتجميع عدد أكثر من الألوان في بلاطة واحدة . وبذلك استخدموا البلاط الخزفي في كسوة الجدران الداخلية للمباني بدلا من الفسيفساء التي تتطلب وقتاً أطول ونفقات أكثر . ومن أحسن الأمثلة على ذلك زخارف مدرسة مادرشاه ، والتي تتكون من عناصر نباتية محورة باللونين الأبيض والأخضر على خلفية زرقاء .

ولقد استخدمت المقرنصات كعنصر هام من عناصر الزخارف المعمارية ، وكانت هذه المقرنصات تغطي بالبلاط الخزفي المتعدد الألوان . وتغطي البلاطات الخزفية ذات الزخارف الجميلة الملونة المقرنصات والجدران والقبة في مسجد الشاه (ش ٢٥٦) ، وتضفي هذه الزخارف على مكان العبادة شكلاً جميلاً يؤثر في النفوس . حيث يبدو المبنى من الداخل ككتلة سابحة اختفت فيها العناصر المادية (ش ٢٥٢) .

استخدمت الألواح الخشبية المزخرفة أيضاً في كسوة جدران بعض القصور ، وكانت هذه الزخارف إما تلون بالألوان الذهبية أو تحفر أو تطعم . ويظهر أسلوب هذه الزخارف أيضاً في الأبواب والسقوف أيضاً . وبالإضافة إلى ما سبق استخدمت الألواح الرخامية أيضاً في تغطية الأجزاء السفلى من الجدران ، كما وجدت زخارف جصية منقوشة ملونة في قصر « على قابو » . ويغطي جدران قصر « جهل ستون » الداخلية تصاوير جدارية بموضوعات مقتبسة من تاريخ الصفويين (ش ٢٥٧) .

الفنون الصغيرة :

الخزف :

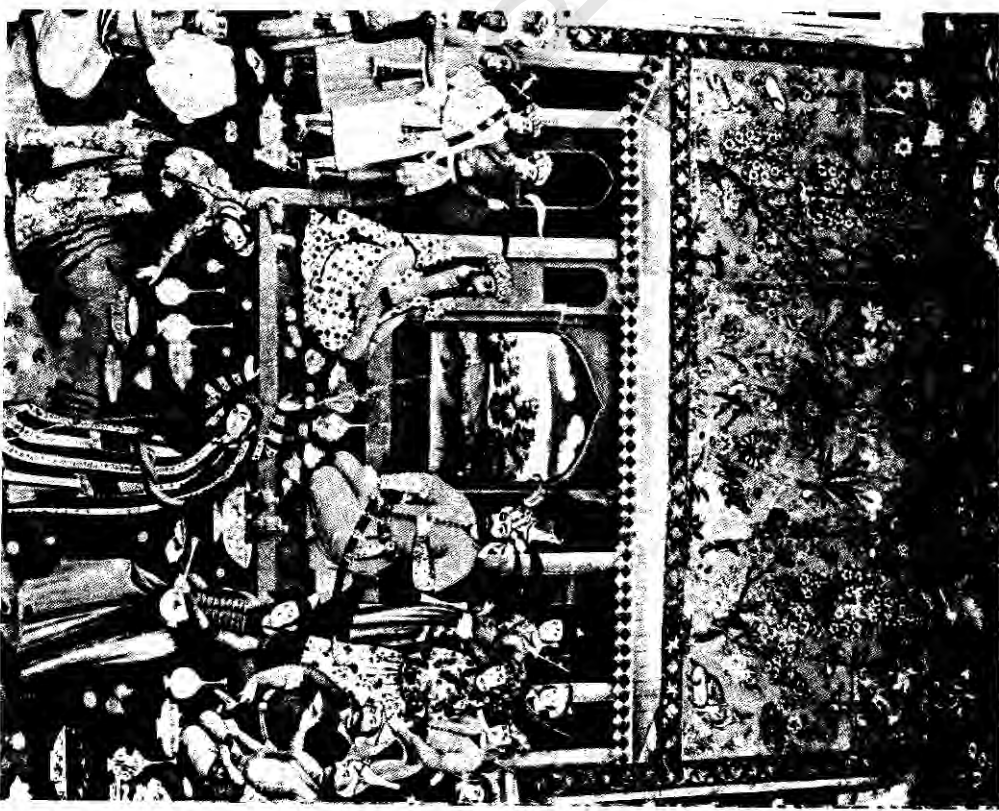
عثر على عدد من الأواني الخزفية التي ترجع إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي ، وكان هذا الإنتاج المبكر من مدينة



(شكل ٢٥٨)
إناء من الخزف النسيب إلى كويجي ،
في زخارف زرقاء على أرضية بيضاء .
العصر الصفوي .



(شكل ٢٥٩)
طبق من الخزف النسيب إلى كويجي
في زخارف آدمية ونباتية متعددة
الألوان ، القرن ١١هـ - ١٧هـ ، العصر
الصفوي بإيران ، حالياً بمتحف
التحف العرفية ، باريس .



(شكل ٢٥٧)
تصوير جداري بقصر جهل ستون
بأسفهان ، نهاية القرن ١٠هـ - ١٦هـ
العصر الصفوي .

(شكل ٢٦٠)

صحن من الخزف ذو زخارف متعدد
الألوان من مدينة مشهد ، النصف
الأول من القرن ١١ هـ - ١٧
العصر الصفوي ، إيران ، متحف
المتربوليتان ، بنيويورك . هذا
من المتحف . مجموعة بابلو



(شكل ٢٦١)

قنينة نبيذ مضلعة مزخرفة بالبريق
فوق الطلاء الأزرق ، النصف الثاني
من القرن ١١ هـ - ١٧ م . العصر
الصفوي ، إيران ، حالياً متحف
المتربوليتان .



(شكل ٢٦٢)

تربيعات من الخزف بها زخارف
أدمية وجدت في قصر جهل ستون
بأصفهان ، العصر الصفوي إيران .
حالياً متحف اللوفر .



«كوباجي» وتميز بمحاولة تقليد الخزف الصيني ، فتظهر به زخارف زرقاء على أرضية بيضاء (ش ٢٥٨) . إلا أن الخزافين في كوباجي تمكنوا في النصف الثاني من القرن السادس عشر من إنتاج نوع من الخزف به زخارف متعددة الألوان ، تظهر فيه الألوان الأصفر والأزرق والأخضر والأسود والبرتقالي على الأرضية البيضاء . ولقد حلت تدريجيا في زخارف هذه المجموعة الوحدات الصفوية الوطنية محل الزخارف الصينية ، فتظهر على الأواني رسوم نصفية لشبان ونساء (ش ٢٥٩) مرسومين بأسلوب زخرفي يتشابه مع أسلوب المصور رضا عباس الذي صور مخطوطات البلاط الصفوي في عصر الشاه عباس . كما تظهر أيضًا بزخارف المجموعة وحدات لطيور وحيوانات بين الأشجار والنباتات . والواقع أن تأثير هذا المصور لم يقتصر على المخطوطات بل امتد إلى الأواني الخزفية والمنسوجات ولوحات القيشاني .

ولقد نجح الخزافون في أوائل القرن السابع عشر الميلادي في إنتاج نوع من الخزف الرقيق (البورسلين) الكثير الشبه بما كان يصنع في الصين في عصر أسرة « منج » . وبالرغم من أن هذا الخزف قد تميز بمكانته عن خزف كوباجي ، إلا أنه لم يصل إلى مائة الخزف الصيني . وأحسن ما أنتج منه ينسب إلى عصر الشاه عباس ، الذي شجع هذه الصناعة ، وأحضر خزافين من الصين . وكانت أهم المراكز في تلك الفترة مدينتا «كرمان» و«مشهد» . وتظهر في زخارف هذا النوع من الخزف ، الوحدات الصينية مثل التنين والطيور والحيوانات الصينية ، مرسومة بعدة ألوان على الأرضية البيضاء تحت الدهان . مثال ذلك قنينة من كerman مزخرفة بوحدات حيوانية باللون الأزرق مع زخارف نباتية داخل جامات باللونين البني والأخضر [لوحة ملونة رقم ١٠] ولقد انتشرت صناعة هذه القنينات في العصر الصفوي .

ويظهر في أواني مشهد مزيج من الزخارف الصينية والعناصر الآدمية والحيوانية (ش ٢٦٠) وتلون الواحدات باللونين الأزرق والأبيض بعد تحديدها بخطوط سوداء واضحة ، أما العناصر الإيرانية فتلون بألوان أخرى من أهمها الأحمر والأخضر القاتم . انتعشت صناعة الأواني الخزفية ذات البريق المعدني مرة ثانية في العصر الصفوي بعد التدهور الذي أصيبت به منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان ذلك في

عصر الشاه عباس في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، ومن أهم مراكز هذه الصناعة مدينة أصفهان . وقد تميز هذا البريق المعدني بلمعان مختلف ينحصر بين اللون الذهبي والأحمر النحاسي والبني . ومن هذا النوع قنينة ذات أضلاع متعددة تختلف زخارف وألوان كل ضلع من أضلاعها (ش ٢٦١) عن الآخر .

اشتهد الإقبال على صناعة البلاطات الخزفية في العصر الصفوي لتغطية جدران المدارس والمساجد والقصور والأضرحة ، وتظهر في زخارف البلاطات التي تغطي الجدران زخارف نباتية وكتابية وهندسية ، وتأخذ الزخارف الموجودة بالعقود شكل السجاد . وتظهر براعة الخزافين في العصر الصفوي في صناعة البلاطات الخزفية ذات الألوان المتعددة التي قد يصل عددها إلى سبعة ، وتظهر في زخارف هذه البلاطات موضوعات لمناظر حفلات في الحدائق تظهر فيها السيدات بازي الصفوي ، وربما تكون هذه الموضوعات منقولة عن أسلوب مدرسة « رضا عباسي » التي ازدهرت في عصر الشاه عباس . ولقد تمكن الفنان بمهارة من تكوين هذه الصور الكاملة بتوزيع أجزائها على عدة بلاطات . ومن أجمل نماذج هذا النوع بلاطات يقال إنها كانت في قصر « جهل ستون » (ش ٢٦٢) . ولقد استخدمت فيها الألوان الأصفر والأزرق الزهري والفيروزي والأخضر والأحمر مع تحديدات بالأسود على الأرضية البيضاء .

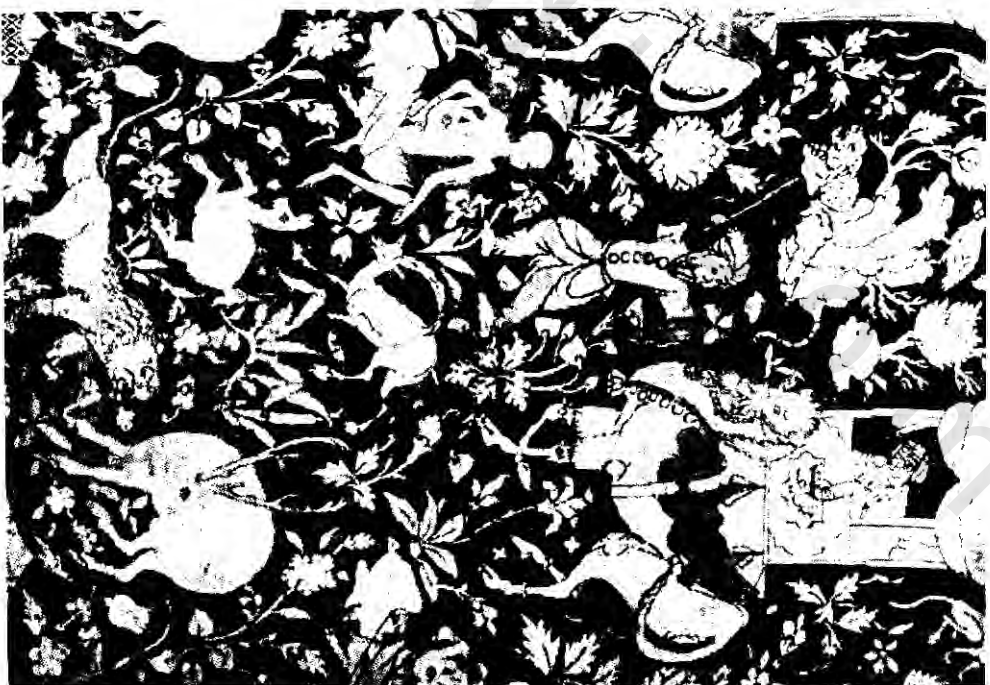
النسيج والسجاد :

بلغت صناعة المنسوجات الحريرية في إيران قمة مجدها في العصر الصفوي . ولقد تعددت أنواع المنسوجات التي أنتجتها المصانع في ذلك العهد فن منسوجات حريرية سادة ومتعددة الألوان إلى منسوجات حريرية مرشاة بخطوط الذهب والفضة ، فضلاً عن المنسوجات الحريرية المخملية . وبالإضافة إلى استخدام هذه المنسوجات الحريرية في صناعة الملابس ، نلاحظ أيضاً أنها استخدمت في عمل الستائر والحشيات ، كما بطنت بها الحيام . ولا يمكن اعتبار هذه الصناعة استمراراً لما كان معروفاً في العصر التيموري ، وذلك لعدم معرفتنا بالمنسوجات التيمورية



(شكل ٢٩١)

نسيج من القطن مع حرير تصور
عائياً مع سائل في حديقة ، ربما من
إفداج قاشان ، العصر الصفوي ،
إيران متحف مدينة كارلورو بالاندا



(شكل ٢٩٢)

نسيج من الحرير بترتف بموضوع
نساء ليلا والجنون ، يود عام ١٠٠٩ هـ -
عائياً متحف القرن
١٩٠٠ م ،
مدينة بوسطن .

لندرة ما عثر عليه من منسوجات من ذلك العهد .

ولقد تميزت المنسوجات الصفوية بثروة زخرفية لم تعرف من قبل في إيران . حيث استخدم الفنانون زخارف الزهور والفروع النباتية والمراوح النخيلية ، بالإضافة إلى الزخارف الحية التي تظهر بها مناظر الأمراء وهم يتنزهون في الحدائق أو يصطادون . واشتهرت مراكز صناعة النسيج في يزد وقاشان وأصفهان بإنتاج أفخر أنواع النسيج الحريري والموشى والخملى ، ولقد وقع مصمموا المنسوجات عليها .

ومن المنسوجات المصورة المؤرخة التي تنسب صناعتها إلى مدينة يزد قطعة حرير بامضاء النساج غياث^(١) تظهر بها زخارف من قصة ليلي والمجنون (ش ٢٦٣) . ومن قطع النسيج الحريرية الموشاة المتعددة الألوان قطعة مزخرفة بوحدة متكررة لفارس بجانب شجرة يقود أسيراً ربما يكون من الأربك أو التركان [لوحة ملونة رقم ١٠] وتظهر هذه الزخارف الملونة على أرضية حمراء . على أن أبدع ما أنتجه النساجون في ذلك العهد هو الخملى ، ولقد اشتهرت مدينتا يزد وكerman بصناعة الخملى حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، ويبرهن ذلك قطعة رائعة زخرفت بوحدات آدمية في حديقة مزهرة بها طيور ، وتظهر هذه الوحدات على أرضية مذهبة (ش ٢٦٤) .

ويعد العصر الصفوي العصر الذهبي لصناعة السجاد في إيران حيث زاد إنتاج السجاجيد لكثرة الطلب عليها من الغرب . ولقد تأثر مصورو صور مخطوطات القرن السادس عشر الميلادي بتصميمات السجاجيد الصفوية ، فاستبدلت الوحدات الهندسية التي ظهرت في سجاجيد مخطوطات العصرين المغولي والتمغوري ، بزخارف ذات عناصر آدمية ونباتية . ويمكن إرجاع أقدم السجاجيد الصفوية إلى عهد الشاه « إسماعيل » . واشتهرت مدينة تبريز في عصره وعهد خليفته الشاه « طهماسب » بكونها أهم مركز لصناعة السجاجيد ، بالإضافة إلى المراكز الأخرى التي وجدت في « هراه » و « قاشان » و « همذان » . ولقد أنتجت هذه المراكز أنواعاً

(١) نشأ غياث الدين في مدينة يزد وذاع صيته في صناعة المنسوجات المصورة . انظر مقالة في

Bulletin of the American Institute for Persian Art & Archeology. Ph. Ackerman :

"A Biography of Ghiath the weaver"

العدد السابع عام ١٩٤٤ .

كثيرة من السجاد لا مثيل لها في الإتقان احتوت على موضوعات زخرفية مختلفة .
 ويفضل الباحثون عادة تقسيم السجاجيد الإيرانية إلى مجموعات حسب موضوعاتها
 الزخرفية عن تقسيمها تبعاً للمراكز التي أنتجتها ، وذلك لاشتراك هذه المراكز
 أحياناً في الموضوعات الزخرفية التي وجدت بها مما يصعب صحة نسبتها إلى هذه
 المراكز .

كان النوع الأكثر انتشاراً في السجاجيد الصفوية هو الذي تركز فيه الزخارف
 حول جامة في الوسط ، وكانت هذه الجامة ذات أشكال متنوعة ، إما مستديرة
 أو بيضاوية مسننة أو نجمية الشكل ، وغالباً ما تتصل بهذه الجامة الرئيسية من
 أعلى وأسفل دلايات على شكل إناء . ويزين كل ركن من أركان السجادة ربع
 جامة كبيرة ، وتتكون زخارف هذا النوع من السجاجيد من رسوم لفروع
 نباتية وبعض تفريعات الزهور المتشابكة ، يضاف إليها أحياناً رسوم حيوانية صغيرة
 وطيور . ويتضح هذا الأسلوب في سجادة من صناعة تبريز (ش ٢٦٥) ، ويوجد
 في طرف من أطراف السجادة مستطيل به تاريخ صنعها « عام ٩٤٦ هـ -
 ١٥٣٩ م » وبيت شعر لحافظ الشيرازي . ولقد كانت هذه السجادة موضوعة
 بمسجد الشيخ صفي الدين باردبيل إلا أنها توجد حالياً بمتحف فكتوريا وألبرت
 بلندن . ونلاحظ أن تفريعات الزهور الموجودة بهذه السجاجيد قريبة من الطبيعة
 كما أن الجامة المتوسطة تحيط بها أشكال بيضاوية مدببة .

وهناك مجموعة من السجاد ذي الجامة المتوسطة لا تقتصر زخارفها على التفريعات
 النباتية المزدهرة ، بل تجد بينها أيضاً رسوماً آدمية وحيوانية ووحدات صينية . وأقدم
 نموذج من هذا النوع سجادة بها تاريخ صنعها ٩٣٠ هـ (١٥٢٢ - ٢٣ م) حالياً
 بمتحف بولدي بيزولي [صورة ملونة رقم ١١] وينسب عدد من هذا النوع من السجاجيد
 إلى هراه في القرن السادس عشر الميلادي . ومن أجمل نماذج هذا النوع من
 السجاجيد سجادة يتوسطها جامة كبيرة مزخرفة برسوم آدمية وحيوانية وأزهار
 (ش ٢٦٦) وتشغل أرضية السجاد القائمة رسوم حيوانات متقابلة منفردة أو
 مزدوجة ، ويحتوي الإطار الأحمر على جامات بها رسوم فهود تطارد غزلاناً كما
 تزخرف بقية أرضية الإطار ووحدات لحيوان التنين .

مسجد الشيخ لطف الله في أصفهان من الخارج . إيران أوائل القرن ١١ هـ .
١٧ م ويوجد هذا المسجد في ميدان الشاه بمواجهة قصر علي قابو وتعتبر
زخارفه الخزفية من أجمل ما أنتج في العصر الصفوي

(لوحة ملونة رقم ٩)

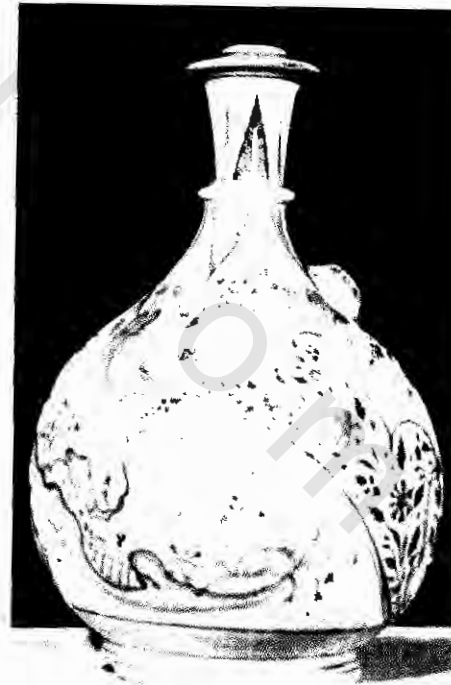


(لوحة ملونة رقم ١٠)

نسيج من الحرير المتعدد
الالوان من صناعة إيران في
القرن ١٠ هـ - ١٦ م ويظهر
به رسم متكرر لوحدة تصور
فارساً يقود أسيراً . حالياً
متحف المروبوليتان



قنبلة من الخزف من صناعة كerman في القرن ١١ هـ - ١٧ م .
بها زخارف زرقاء وملونة ذات أسلوب صيني . حالياً متحف
فيكتوريا والبرت بلندن .



(لوحة ملونة رقم ١١)

سجادة متعددة الحمامات ذات رسوم
نباتية وحيوانية ، من صناعة تبريز
في النصف الأول من القرن ١٠ هـ -
١٦ م .

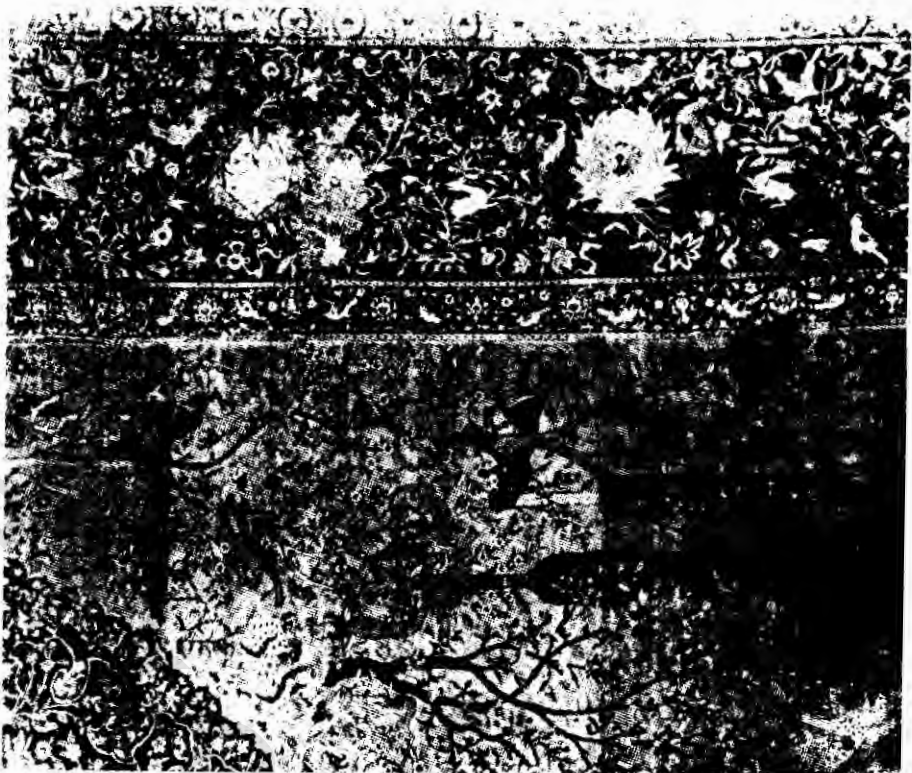


سجادة ذات جامه متوسطة ويزخرف
الأرضية وحدات آدمية وحيوانية
ونباتية ، ويدل التاريخ الموجود عليها
٩٣٠ هـ - ١٥٢٢ / ٢٣ م على أنها
أقدم سجادة من هذا النوع . حالياً
متحف بولدي بترولي .



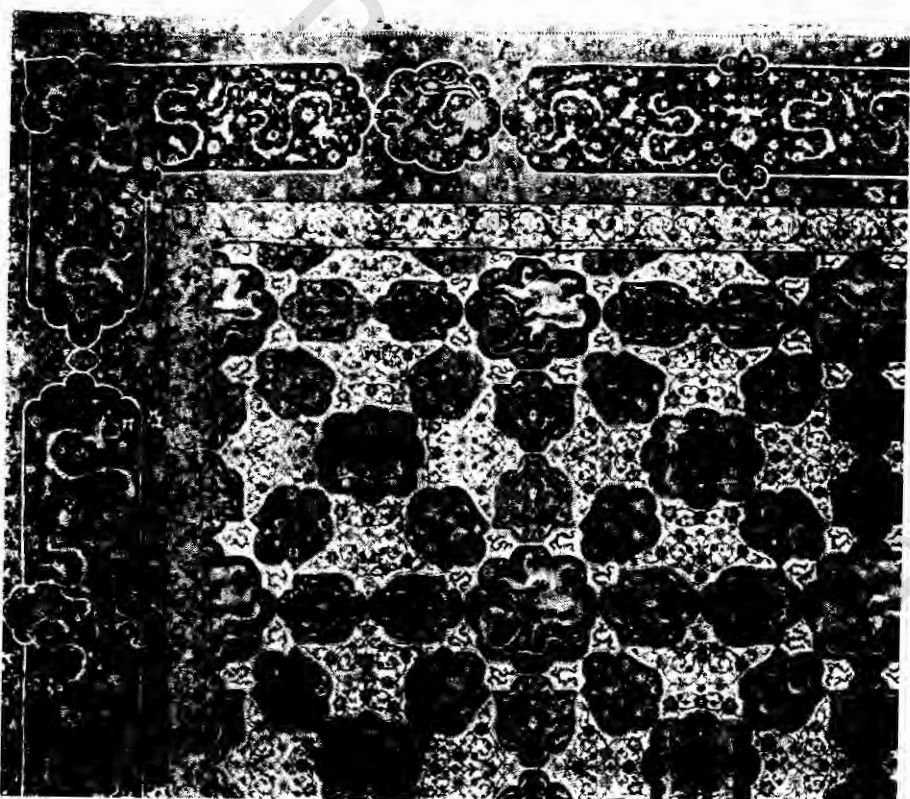
صورة من مخطوط شاهة
« هوتين » صورت في تبر
عام ٩٤٥ هـ - ٥٣٧
تصور البطل شاموران
الشياطين . وتنسب
الصورة إلى المصور سله
محمد ، حالياً متح
المروبوليتان .

صورة من مخطوط المنظومات الخمسة، كتبت في تبريز في الفترة ٩٤٧/٥٥١ هـ -
١٥٣٩ - ٤٣ م وتظهر بالصورة عجوز تقود المحدثون نحو خيمة ليل.
وتنسب هذه الصورة إلى المصور ميرسيد علي . حالياً المتحف البريطاني .



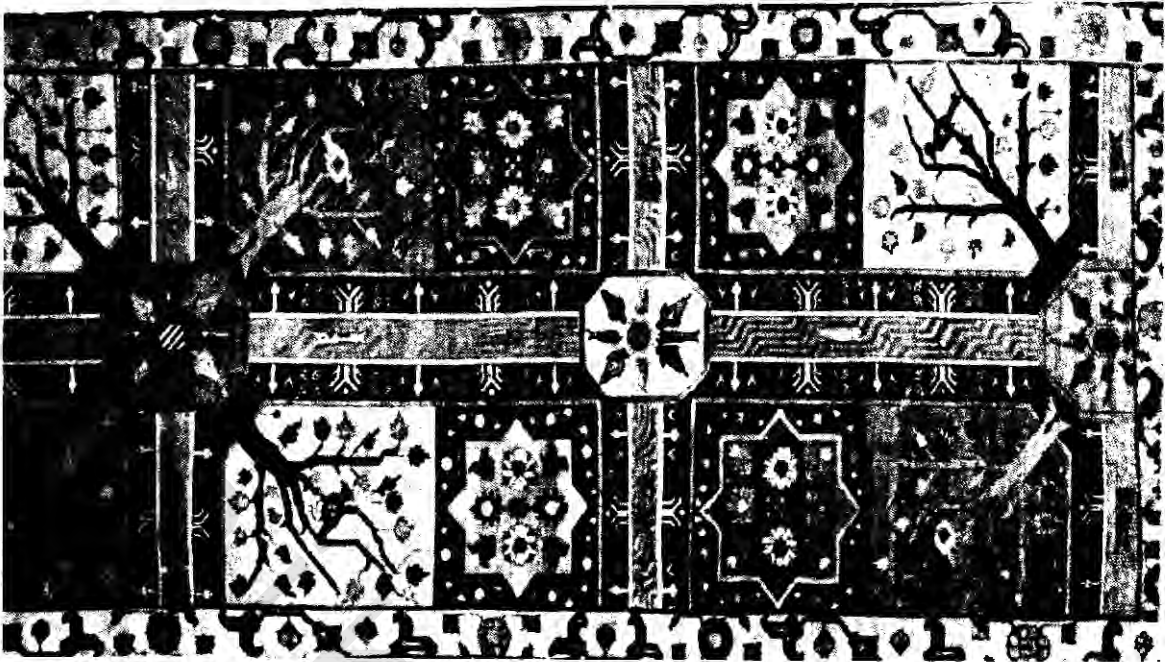
(شكل ٢٦٨)

سجادة مزخرفة بأشجار وورودات
حورانية ، صناعة تبريز ، النصف
الأول من القرن ١٠ هـ - ١٦ م .
حالياً متحف الفنون العرفية بباريس .

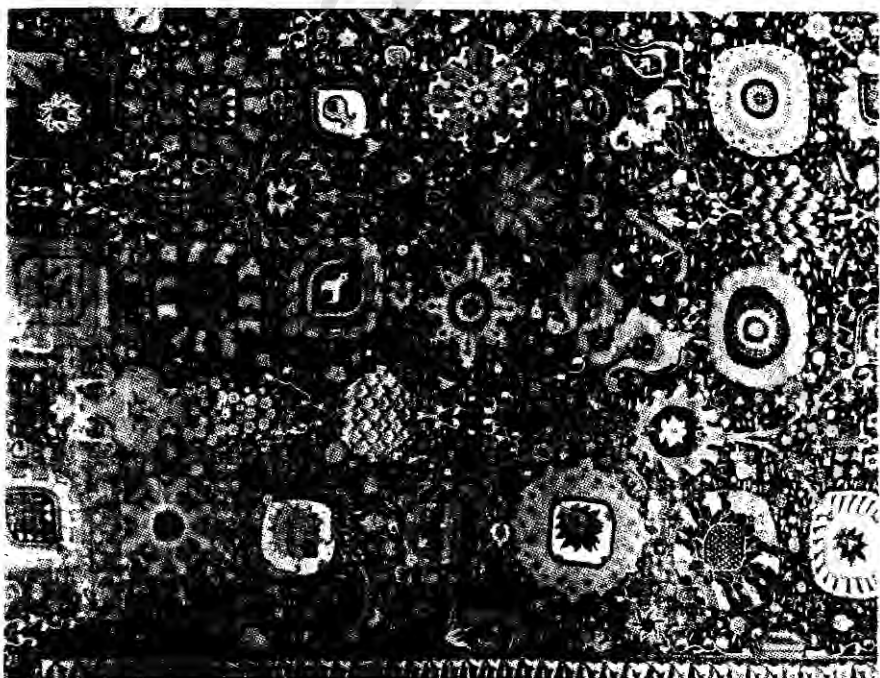


(شكل ٢٦٧)

سجادة ذات خيانات متعددة مزخرفة
بواحدات صينية تنسب إلى تبريز ،
النصف الأول من القرن ١٠ هـ - ١٦ م .
المعرض الصفوى ، إيران . متحف
المتر و بوليتيان .



(شكل ٢٧٠)
سجادة مزخرفة على هيئة سقف الحائط
الإيرانية، شمال غرب إيران، القرن
الـ١٢ هـ - ١٨ م. متحف فوج، جامعة
هارفارد.



(شكل ٢٦٩)
سجادة بها زخارف تشبه الزهريات، من
منطقة أصفهان، النصف الثاني من القرن
الـ١٠ هـ - ١٦ م. متحف فيكتوريا وألبرت

ويكثر أحياناً عدد الحمامات في الأبسطة ذات الرسوم النباتية والحيوانية ، ومن أحسن الأمثلة على ذلك سجادة تنسب إلى صناعة تبريز في النصف الأول من القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي ، ويحيط بالحمامة الوسطى حمامات أصغر حجماً وتظهر في زخارف هذه الحمامات وحدات نباتية وبطاط طائرة [لوحة ملونة رقم ١١] ، وتشغل أرضية السجاد زخارف من الفن الصيني إلى جانب زخارف نباتية وتفريعات مزهرة وحيوانات طبيعية .

ومن الأبسطة ذات الحمامات المتعددة ، سجاد رائع ينسب لإنتاجه إلى تبريز في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي ، ولقد استبدلت الحمامة التي تتوسط السجادة عادة بمجموعات من الحمامات . وتتكون كل مجموعة من حمامة صغيرة تحيط بها تسع حمامات أصغر حجماً ، ويتكرر هذا التوزيع على أرضية السجاد . وتظهر في زخارف بعض الحمامات العناصر الصينية (ش ٢٦٧) . حيث تضم الحمامات الكبيرة الملونة باللون الأزرق زخارف تصور الصراع بين العنقاء والتنين ، بينما تظهر في زخارف الحمامات الصغيرة وحدات نباتية وبطاط طائرة . وتحتصر هذه الحمامات الصغيرة حمامات أكبر ، بها رسم لأربعة أسود ، وتملأ أرضية الفراغات الموجودة بين الحمامات زخارف نباتية وتفريعات مزهرة وأشرطة من السحب الصينية ، ويحيط بأرضية هذه السجادة ، إطار عريض أحمر تظهر به زخارف من التفريعات النباتية في مساحات محددة .

ونلاحظ أحياناً في سجاجيد الحمامات ذات الحيوانات ، أن الأرضية التي تحيط بالحمامة المتوسطة تزخر بأنواع من الأشجار تتخللها وحدات حيوانية منقولة عن الطبيعة . مثال ذلك سجادة من صناعة تبريز ترجع إلى النصف الأول من القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي (ش ٢٦٨) ، قوام زخرفتها منظر طبيعي غني برسوم الأشجار المزهرة والطيور والحيوانات ، وتظهر هنا الأشجار كعنصر رئيسي في زخارف هذا النوع من السجاد . وتزخرف الحمامة الوسطى رسوم طيور وأزهار ، ويظهر بالإطار الداكن الذي يحيط بالسجادة مراوح نخيلية وزخارف من الأرابيسك والطيور .

ومن أنواع السجاجيد الإيرانية مجموعة بها زخارف من الزهور تشبه الزهريات

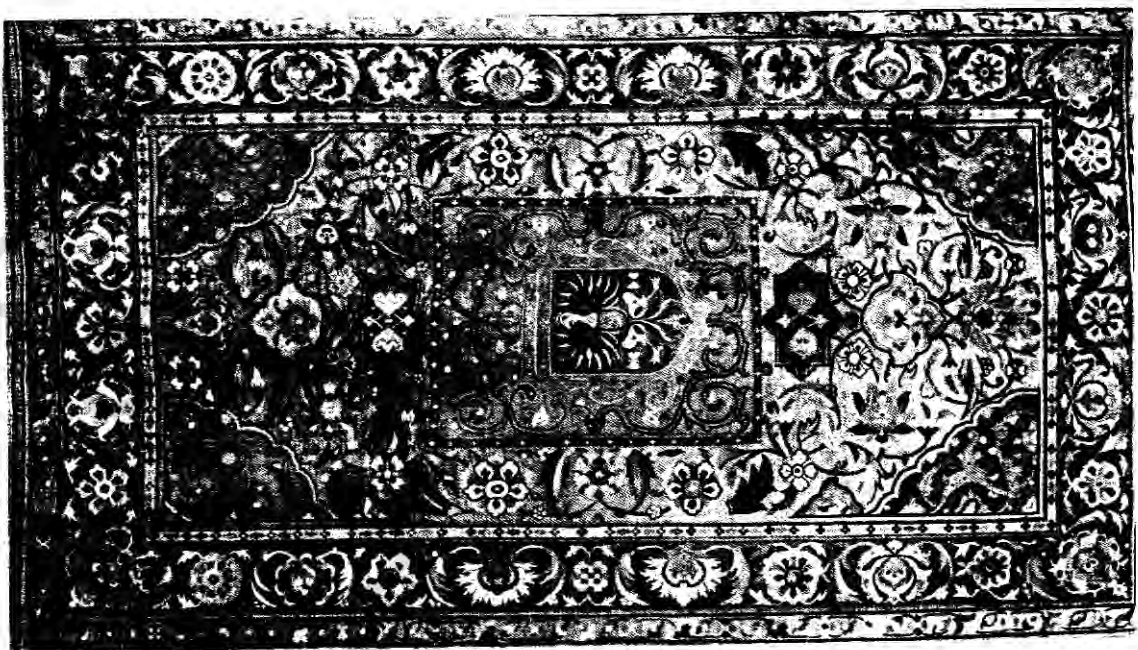
(ش ٢٦٩) ولا تتوسط هذه الزخارف جامات . ويلاحظ أن هذه الوحدات موزعة في تنسيق حول مركز السجادة الأوسط ولا يظهر بهذه السجاجيد تأثير تصاوير العصر الصفوي ، وغالباً ما يكون لون الأرضية أزرق أو أحمر ، وألوان الأزهار براقية . وينسب هذا النوع من السجاجيد إلى أصفهان في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي .

وهناك مجموعة من السجاجيد تتميز برسوم تشبه تقسيم الحدائق الإيرانية بما فيها من أحواض وصفوف أشجار وقنوات جارية (ش ٢٧٠) وترجع أغلبية السجاجيد ذات الحدائق إلى القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي ويرجع نسبتها إلى مراكز في شمال غرب إيران .

ولقد اشتهرت إيران في العصر الصفوي بصناعة السجاجيد الحريرية، ومن أشهر هذا النوع ، سجادة بمتحف فكتوريا والبوت بلندن (ش ٢٧١) . وتزخر هذه السجادة وحدات حيوانية، ولقد استخدمت في صناعتها عقد من الحرير المتعدد الألوان وخيوط الذهب والفضة ، كما يظهر في أطراف السجادة زخارف لأدميين مجنحين . ويرجح من أسلوب هذه الزخارف أن أحد مصوري مخطوطات ذلك العهد هو الذي ربما رسم تصميمها . وتشابه هذه السجادة مع سجادة في المتحف النمساوي تظهر بإطارها أيضاً زخارف للملائكة . وأو أن هذا النوع من السجاد ينسب إلى قاشان إلا أنه يحتمل أيضاً أن يكون من صناعة تبريز أو قزوین .

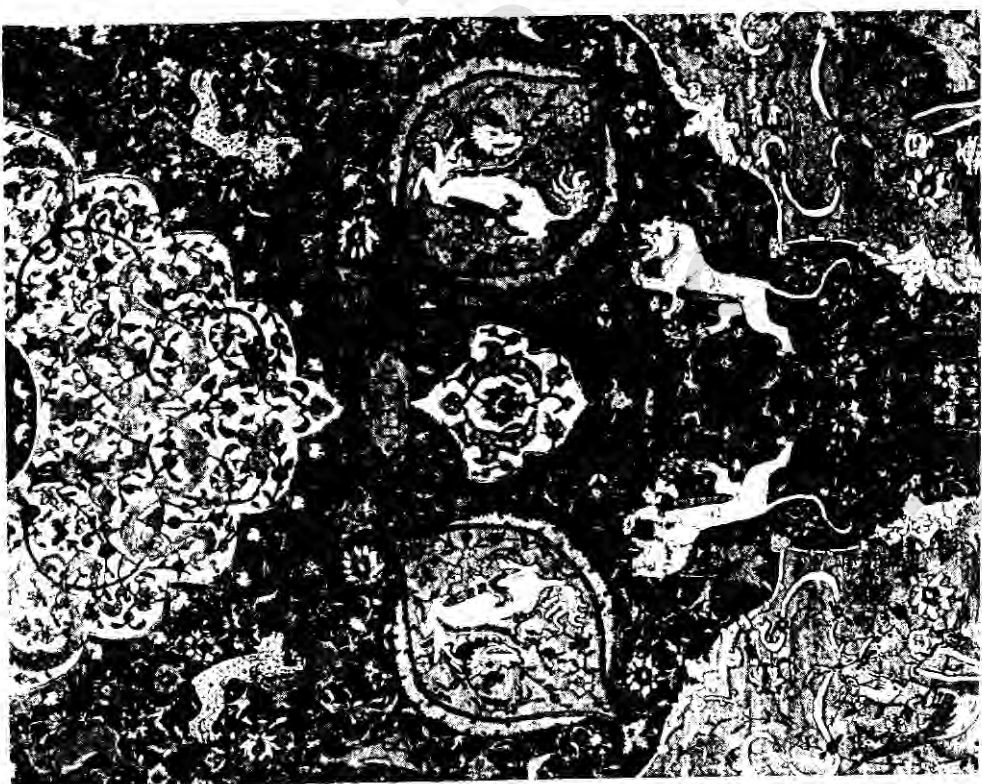
ومن مجموعة السجاجيد الحريرية الصفوية الفاخرة نوع مطرز بخيوط الذهب أو الفضة تنسب خطأ إلى بولندا ، وذلك لوجود رنوك حكام هذا القطر بها . ولقد تأكد الآن بصفة قاطعة أنها من صناعة مناسج البلاط الصفوي في أصفهان أو قاشان خلال حكم الشاه عباس وربما يكون قد أهداها إلى هؤلاء الحكام (ش ٢٧٢) .

ولقد أنتجت القوقاز نوعاً من السجاد تختلف زخارفه كثيراً عما وجد في المراكز الإيرانية ، حيث تتميز هذه السجاجيد بتقسيمات هندسية ، ويتضح ذلك في سجادة مقسمة إلى مناطق تتكرر فيها زخارف لحيوانات متقابلة مزدوجة أو منفردة ، ويظهر في هذه الزخارف تأثير الفن الصيني (ش ٢٧٣) .



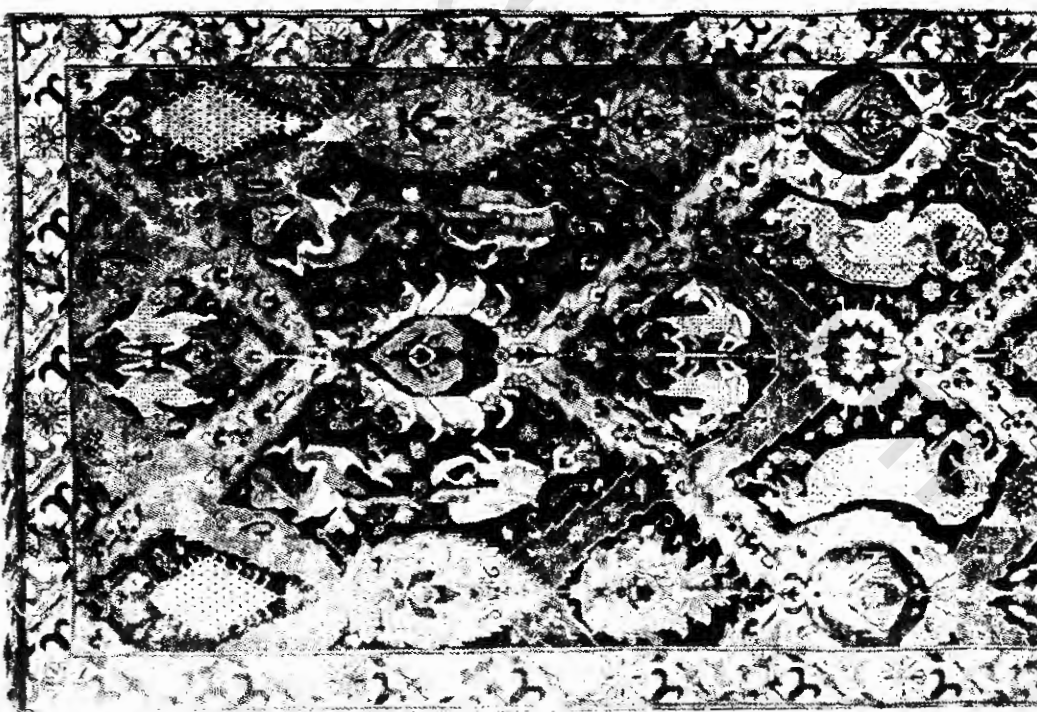
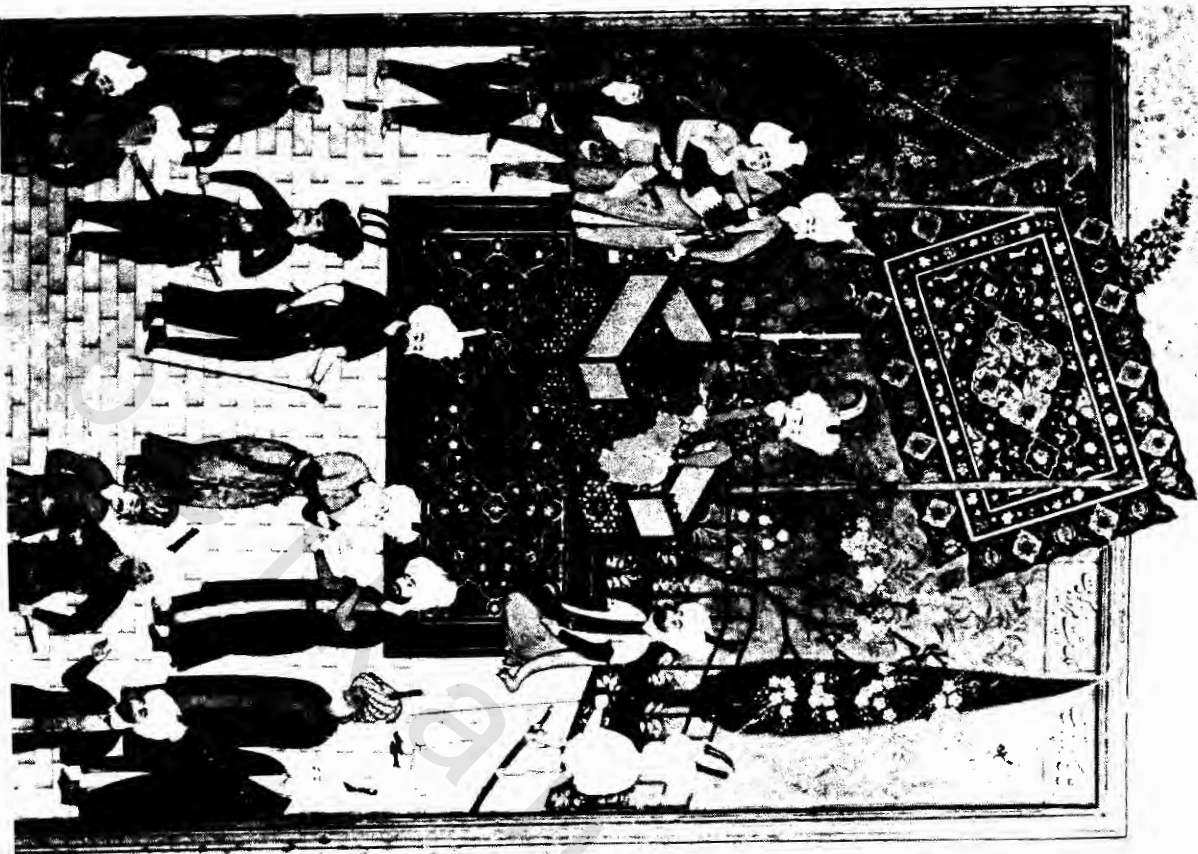
(شكل ٢٧٢)

سجادة حريرية مطرزة بخيوط من الذهب والفضة ومؤرخة ١٠١١ هـ - ١٦٠٢ م. ورثها الملك البولندي «سيجيسموند الثالث» ، إيران ، العصر الصفوي ، محفوظة حالياً بمتحف ميونخ .



(شكل ٢٧١)

سجادة حريرية مزخرفة بوحوشات حيوانية كما يظهر بها آدميتا مجنونين ، إيران ، قاسمان متحف لكوندريا والبرت .



(شكل ٢٧٤)

صورة من مجموعة المخطوطات المسمية
بظهر بها الملك خسرو بن حاشيته
عام ٩٢١ هـ - ١٥٢٤ م - تبريز -
الاسلاميات - ١١ -

(شكل ٢٧٣)

سجادة من صناعة القوقاز ذات
زخارف جوارية متأثرة بالفن الصيني -
القرن ١٠ هـ - ١٦ م - متحف

التصوير :

بعد أن تمكن الشاه إسماعيل من السيطرة على هراة في حوالى عام (٩١٦ هـ - ١٥١٠ م) نقل المصورين المشهورين إلى تبريز ، وعين كبيرهم بهزاد رئيساً للمكتبة الملكية في عام (٩٢٨ هـ - ١٥٢٢ م) . ويعد بهزاد المؤسس لمدرسة التصوير الصفوية الأولى التي تكونت وازدهرت في تبريز وقزوین في غرب إيران في ظل رعاية الأسرة الصفوية ، حيث قلد مصورو العصر الصفوى الأول طريقة بهزاد التي تميز بها في رسم الأشجار والأشخاص . ولقد ضمت هذه المدرسة « سلطان محمد » و « شيخ زادة » و « أقامرك » و « مظفر على » و « مير سيد على » و « محمدى » و « سيد ميرنقاش » و « شاه محمد » و « دوست محمد » ، ولما كان هؤلاء المصورون متأثرين بأساليب المدرسة التيمورية ، نجد أن الإنتاج الأول للمدرسة التصوير الصفوية الأولى في تبريز ، كان استمراراً لما كان سائداً في هراة مع شيء بسيط من التغيير في درجات الألوان التي زاد هدوؤها .

ولقد ارتفع شأن التصوير في تبريز في عهد الشاه طهماسب الذى كان ميالاً للشعر والفنن الجميلة ، كما كان يهوى التصوير ويرغب في أن يصبح هو نفسه مصوراً ، وأعجب بأسلوب بهزاد الذى كان سائداً في تبريز وكان والده الشاه قد أرسله إلى هراة ليتعلم فيها ، فتتلمذ على يد المصور سلطان محمد كما اتصل بالمصور بهزاد . ويظهر تأثير مدرسة هراة على أسلوب مدرسة تبريز في المخطوطات التي صورت للشاه طهماسب بتبريز في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادى . وأغلب هذه المخطوطات كانت قد نسخت في هراة ثم نقلت إلى تبريز قبل إتمام تصويرها ، وهناك أكملها مصورو مكتبة الشاه طهماسب . ويتجلى أسلوب هذه المدرسة الصفوية الأولى في مخطوطة « المنظومات الخمس » لنظامى الموجودة حالياً بمتحف المتروبوليتان بنيويورك . ولقد كتب هذه المخطوطة الخطاط السلطانى سلطان محمد نور عام (٩٣١ هـ - ١٥٢٥ م) واشترك في صورها الخمسة عشر ، بعض مصورى مكتبة الشاه طهماسب^(١) . وتعد صور هذه المخطوطة آية في الجمال .

(١) كانت المخطوطة تحتوى أصلاً على ست عشرة صورة غير مضاة ، فقدت إحداها . ويختلف العلماء في نسبة هذه الصور إلى شيخ زاده أو أقامرك . انظر Binyon Wiskinson & Grauy في كتاب Persian Miniature لندن ، ١٩٣٣ ، ص ١٠٨ ، وكذلك

Sakisian A. „La miniature Persane du 12e au 17e siècle (Paris-Brussels, 1929).

ويتضح أسلوب المدرسة الصفوية الأولى في إحدى صور المخطوطة السابقة التي يظهر فيها الملك خسرو بين رجال حاشيته من أمراء وكبار الدولة موزعين في الصورة بمهارة^(١) ومن خلفهم حديقة جميلة مزهرة (ش ٢٧٤) . وتدل الملابس الفخمة التي يرتديها الرجال على مظاهر الأبهة والعظمة التي عاشها البلاط الصفوي في عهد الشاه طهماسب ، كما يظهر في هذه الصورة لباس الرأس الذي تميزت به صور العصر الصفوي في عهد هذا السلطان ، ويتكون من عمامة ترتفع بضيق وتبرز من أعلاها عصا صغيرة حمراء ؛ ولقد تغير لون العصا في بعض الحالات ، وربما كانت هذه العمامة في أول الأمر شعاراً على الأسرة الصفوية وأتباعها ، حيث ندر ظهور هذا النوع من العمام في الصور التي تمت بعد وفاة الشاه طهماسب ، ويتضح من هذه الصورة التطور الذي طرأ في أسلوب المدرسة الصفوية الذي أدخله المصورون في ذلك العهد ، حيث لايهتم المصور بزخرفة زى الأشخاص بالألوان المتعددة كما رأينا من قبل في صور بهزاد في العصر التيمورى . فتظهر الأشخاص في الصور الصفوية غالباً بملابس ملونة بلون واحد، وإذا كانت هناك تفاصيل فهي تظهر على هيئة بقع لونية .

ولقد ذاعت شهرة أقامرك وسلطان محمد في عهد المدرسة الصفوية الأولى . ويميل بعض الباحثين إلى نسبة إحدى صور المخطوطة السابقة إلى سلطان محمد، وهي التي تمثل «خاقاناً» يستقبل «إسكندر» في مجلس شراب وطرب (ش ٢٧٥) . ويظهر في هذه الصورة أسلوب جديد في شكل العمامة الصفوية التي ارتفعت بضيق كما قل الاهتمام بتسجيل تفاصيل الملابس وزخرفتها . ويحتمل أن يكون هذا الأسلوب الجديد قد أدخله سلطان محمد .

ويتضح تأثر مدرسة تبريز بالأسلوب التيمورى في صور ديوان «مير على شر» الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس والمؤرخ عام ١٥٢٦ م . حيث يظهر جمال الخطوط الزخرفية والألوان الزاهية في منظر يصور إسكندر مع رجاله في البحر (ش ٢٧٦) . ومن الأعمال الفنية الشهيرة التي يتضح فيها الأسلوب الجديد الذي ظهر في

(١) ينسب بعض الباحثين هذه الصورة إلى المصور شيخ زاده .

انظر Reice D.T ، كتاب Islamic painting أدنبره ١٩٧١ ص ١٤٧ .



(شكل ٢٧٧)

صورة من خطوط المنظومات الخمسة ،
تعل خسر و يغاسي ، تبريز ،
١٥٣٩ م - ٩٤٩ هـ ،
(نسب إلى سلطان محمد)
١٥٤٣ م (نسب إلى سلطان محمد)
المصر الصغرى الأولى في تبريز بإيران ،
حالياً بالمتحف البريطاني .



(شكل ٢٧٦)

خطوط دروان شعر ، تصور إسكندر
مع رجاله في البحر ، ٩٢٣ هـ -
١٥٢٩ م ، (نسب إلى شيخ زاده)
المصر الصغرى في تبريز ، إيران ،
حالياً بالمتحف الأهلية بباريس .



(شكل ٢٧٥)

صورة من خطوط المنظومات الخمسة
تصور خاقان يستقبل إسكندر ،
٩٢١ هـ - ١٥٢٤ م ، تبريز ،
إيران ، (نسب إلى المصور سلطان
محمد) مصر الصغرى ، حالياً
بمتحف المرو بولستان بنجويورك .



(شكل ٢٨٠)

صورة سيدة جالسة وبينها زهور -
إيران ، أواخر القرن ١٠ هـ - ١٦ م
حالياً بمجموعة كارتيه بباريس .



(شكل ٢٧٩)

صورة من مخروط المنطويات الخمسة
تصور كبرى أو شروان مع زنبور
يعتقلان حل البوتيين ، المدرسة
الصغرى الأولى في تبريز ، ٩٤٦ -
٩٤٩ هـ . ١٥٢٩ - ١٥٤٣ م ،
بلاط الشاه طهماسب ، (وتنسب إلى
أفاميرك) ، إيران حالياً بالمتحف
البريطاني .



(شكل ٢٧٨)

صورة من مخروط المنطويات الخمسة ،
تصور قبة الميراج ، المدرسة الصغرى
الأولى في تبريز ، ٩٤٦ - ٩٤٩ هـ ،
١٥٢٩ - ١٥٤٣ م ، بلاط الشاه
طهماسب وتنسب إلى السلطان محمد ،
إيران ، حالياً بالمتحف البريطاني .

المدرسة الصفوية الأولى ، مخطوط آخر من المنظومات الخمسة كتبه الخطاط محمود النيشابورى فى تبريز بين عامى ٩٤٦ و٩٤٩ هـ (١٥٣٩ - ١٥٤٣ م) للشاه طهماسب ، ويوجد حالياً بالمتحف البريطانى بلندن . ويحتوى هذا المخطوط على أربع عشرة صورة اشترك فى تصويرها أعلام المدرسة الصفوية الأولى . سلطان محمد وأقاميرك ، وميرزا على ميرك ومير مصور ومير سيد على ومظفر على ، بالإضافة إلى بعض المصورين غير المعروفين . وتعد صور هذه المخطوطة من أعظم ما أنتج فى فن التصوير الإيرانى .

ومن الصور التى تنسب إلى سلطان محمد فى هذه المخطوطة صورة تمثل « خسرو » يفاجئ شرين وهى تستحم (ش ٢٧٧) ، ويتضح بها الأسلوب الذى يتميز به سلطان محمد فى رسم الصخور الجميلة المائلة ويتضح التغيير الذى أدخله سلطان محمد على أسلوب المدرسة الصفوية ، بمقارنة هذه الصورة مع صورة للموضوع نفسه صورت فى العصر التيمورى (ش ١٨٨) ، حيث تزداد عناية المصور بالأشكال الآدمية كما تكثر الصخور فى المناظر الجبلية . ومن صور المخطوطة ، التى تنسب إلى سلطان محمد ، صورة العجوز والسلطان سنجار ، وصورة « قصة المعراج » فرى « النبي ﷺ » ممتطياً البراق فوق السحب وأمامه جبريل ومن حوله الملائكة (ش ٢٧٨) . وتتميز هذه الصورة بالثروة الزخرفية وباستخدام مجموعة كبيرة من الألوان الجميلة المتناسقة . كما نلاحظ خيال المصور فى رسمه الأرض التى تركها النبي وحولها غلاف كروى أبيض . ونلاحظ فى رسم صورة النبي عليه السلام ما اتبعه فناؤ العصر التيمورى من إخفاء وجهه . ومن أهم المصورين المعروفين الذين اشتركوا فى صور هذه المخطوطة ، « أقامرك » الذى نشأ فى أصفهان ثم هاجر منها إلى هراه وتلمذ على يد « بهزاد » ، وعمل ببلاط الشاه « طهماسب » فى عام ٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م) . ولقد قام برسم خمس صور من المخطوطة السابقة . وتدل هذه الصور على أنه بالرغم من تأثر « أقامرك » بأستاذه « بهزاد » ، إلا أننا نلاحظ تفوقه فى رسم المناظر الطبيعية بطابع زخرفى وقلة لإجادة الرسوم الآدمية . ويتضح أسلوب هذا الفنان فى إحدى الصور (ش ٢٧٩)^(١) .

(١) ينسب الدكتور أ . جروبه . هذه الصورة إلى سلطان محمد انظر Grube مقابلة ش ٧٨ - كذلك انظر الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى زكى حسن ش ٤٩ كما تنسب أحياناً إلى أقاميرك

ومن مصورى تبريز المرموقين الذين اشتركوا فى المخطوطة السابقة « مير سيد على » ، وكان والده مصوراً ، ورافقه إلى تبريز وهو صغير ليتعلم فن التصوير على يد بهزاد . وتتميز صوره ، فى المنظومات الخمسة باهتمامه برسم موضوعات من حياة الريف والمدن بتفاصيل دقيقة وأسلوب واقعى ، وأحسن صوره هى التى صور منها الحياة فى المعسكرات ، وكان يجمع أحياناً منظرين فى الصورة الواحدة . ويتضح أسلوبه فى صورة من قصة « لىلى والمجنون » فترى فى هذه الصورة عجوزاً تقود المجنون أسيراً إلى خيمة لىلى [لوحة ملونة رقم ١٢] ويظهر الأسلوب الشعبى الواقعى ، فى رسوم الأولاد الذين يقذفون المجنون بالأحجار ، وفى النساء اللاتى يقمن بأعمالهن المنزلية فى الخيام . ولم يقتصر نشاط هذا الفنان على إيران ، بل نجد أنه انتقل إلى الهند مع « همايون » الإمبراطور الهندى المغولى حيث أسس مدرسة تصوير هندية فى بلاط الهند ، تأثرت بأسلوب المدرسة الإيرانية . وكان مير سيد على قد تقابل مع همايون الذى لجأ إلى بلاط الشاه طهماسب بعد أن فقد عرشه عام ٩٥١هـ (١٥٤٤م) .

ويتضح أسلوب مدرسة الشاه طهماسب فى أوائل العصر الصفوى فى أجمل مخطوطات العصر الصفوى وهى مخطوطة الشاهنامه التى كتبت للشاه فى تبريز ، وتحمل بعض صورها تاريخ ٩٣٤هـ (١٥٢٧-١٥٢٨م) . وتوجد حالياً بأمريكا ، وتعد من أكبر المخطوطات المصورة حجماً ، حيث تحتوى على مائتين وخمسة وسبعين صورة نجح متحف المتروبوليتان فى الحصول على ثمان وسبعين صورة منها ، وتعرف باسم شاهنامه « هوتن » نسبة إلى صاحبها . وتعد صور هذه المخطوطة من أبدع وأتقن ما قام بعمله المصورون فى العصر الصفوى الأول ، وتجمع صورها شتى الموضوعات التى طرقها المصورون فى قصص الشاهنامه ، كما تظهر بها المميزات الفنية للمدرسة الصفوية الأولى من زخرفة إلى دقة فى الرسم ؛ واشترك فى تصوير هذه المخطوطة نخبة من أمهر مصورى بلاط الشاه طهماسب .

وتتميز بعض صور هذه المخطوطة ببعدها عن الأسلوب «الطاهماسابى» الذى وجد فى المخطوطات السابقة ، وربما بدى فى كتابة هذه المخطوطة فى عهد الشاه إسماعيل لإهدائها للأمير شاه طهماسب عند عودته من هراه عام ٩٢٩هـ (١٥٢٢م)

حيث لا يظهر بها أى أثر لأسلوب مدرسة بهزاد، وربما تم رسم هذه الصور في تبريز قبل أن يتولى بهزاد رئاسة المكتبة الملكية في عام ٩٢٩هـ (١٥٢٢م). وينسب أسلوب هذه الصور إلى المصور سلطان محمد في أوائل حياته ويتضح هذا الأسلوب في صورة توضح فترة من حياة البطل «تاموراه» وهو يهزم الشياطين [لوحة ملونة رقم ١٣] ونلاحظ في هذه الصورة بعض عناصر من الزخارف النباتية الصينية وأشكال السحب وهى من العناصر التى كانت مفضلة في بلاط التركمان .

ويرجع الفضل إلى مصورى بلاط الشاه طهماسب في إنتاج عدد من التصاوير الفردية إلى جانب صور المخطوطات . وتصور هذه الصور غالباً شخصيات الأمراء والأميرات (ش ٢٨٠) . ومن أشهر مصورى الصور الفردية «شاه محمد» و«سلطان محمد» و«مير نقاش» .

ولقد ظهرت مميزات بعض مصورى هذه المدرسة بعد ما أتيح لهم أن يرحلوا إلى خارج إيران ، مثل عبد الصمد الشيرازى الذى رحل إلى الهند وهو شاب واشترك مع مير سيد على في تأسيس المدرسة الهندية المغولية . كما رحل بعضهم إلى تركيا ومن بينهم كمال التبريزى وشاه قولى .

وبالرغم من أن عهد الشاه طهماسب في تبريز كان زاخراً بإنتاج المخطوطات المصورة، إلا أنه لوحظ أن تصاوير النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى بها شىء من الاضمحلال كما يتغير أسلوبها. ويبدأ ظهور هذا التغيير بعد أن نقل الشاه طهماسب مركز الحكم إلى مدينة قزوین في عام ٩٥٥هـ (١٥٤٨م) لبعدها عن الحدود التركية . ويرجع سبب هذا التغيير إلى انصراف الشاه عن تشجيع فن التصوير واهتمامه بالحياة الدينية .

ويتضح التغير التدريجى الذى طرأ على أسلوب مدرسة التصوير الصفوية الأولى بعد منتصف القرن ، في مخطوطة «العروش السبعة» للشاعر بجای التى صورت في مدينة مشهد ، وهى محفوظة حالياً بمتحف فريزر بواشنطن . وتنسب هذه المخطوطة إلى بلاط الأمير إبراهيم ميرزا ابن أخى الشاه طهماسب في الفترة (٩٦٤ - ٩٧٣هـ) (١٥٥٦م - ١٥٦٥م) . وتوضح إحدى صور هذه المخطوطة (ش ٢٨١) بدء ظهور الأسلوب الصفوى الجديد حيث

تختفي العمامة التي تبرز منها العصا القصيرة . كما يتغير غطاء الرأس الذي تلبسه السيدات .

انتشر هذا الأسلوب الجديد بين مصوري مدرسة قزوين ، وكان المصورون في تلك الفترة يقلدون موضوعات صور المدرسة الصفوية الأولى في تكرار تنقصه الدقة . ويظهر ذلك واضحاً في مخطوطة « جارشاب نامه » أو حياة جارشاسب الموجودة بالمتحف البريطاني . ولقد كتب هذه المخطوطة إمام الحسيني وصورت في قزوين عام ٩٨١ هـ (١٥٧٣ م) ، ولقد اشترك في صور هذه المخطوطة المصورون مظفر على وصادق وزين العابدين . وتربط صور هذه المخطوطة بين خصائص مدارس هراه وتبريز وقزوين ، وذلك لأن مظفر على كان تلميذ المصور « بهزاد » وابن أخيه ، كما أن « زين العابدين » الذي التحق بمكتبة الشاه « إسماعيل الثاني » كان حفيد « سلطان محمد » . « ويظهر تأثير بهزاد على تلميذه » مظفر على « في إحدى صور هذه المخطوطة (ش ٢٨٢) التي نرى فيها الشاعر فردوس مرسومًا مع شعراء البلاط على خلفية من الحدائق الزخرفية الجميلة .

ويرتبط هذا الأسلوب الذي ظهر في الفترة (٩٧٨ - ٩٨٨ هـ) (١٥٧٠ - ١٥٨٠ م) في العصر الصفوي ، بالمصور « محمدى » الذي نشأ في هراه وتألق نجمه في عهد المدرسة الصفوية الأولى وكان آخر مصوري مدرسة تبريز العظام ، ويرجع أنه كان ابن المصور « سلطان محمد » . ويرجع إليه الفضل في ازدياد الإقبال على تكليف المصورين بعمل صور مستقلة تجمع في ألبومات مع بعض كتابات توضيحية^(١) . ولقد اشتهر محمدى برسم المناظر الريفية ، ومن أجمل الصور التي تحمل توقيع صورة بمتحف اللوفر ويرجع تاريخها إلى عام ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) (ش ٢٨٣) ، نرى بها رسماً لمنظر من الحياة اليومية في الريف . وأقصد استخدمت ألوان قليلة في هذه الصورة . ولم تكن معظم صور محمدى ملونة بل كان يكتب بعض الألوان يلون بها الصخور والحيوانات .

وبنتقل أسلوب قزوين الذي ارتبط بمحمدى إلى شيراز ، ويتضح ذلك في

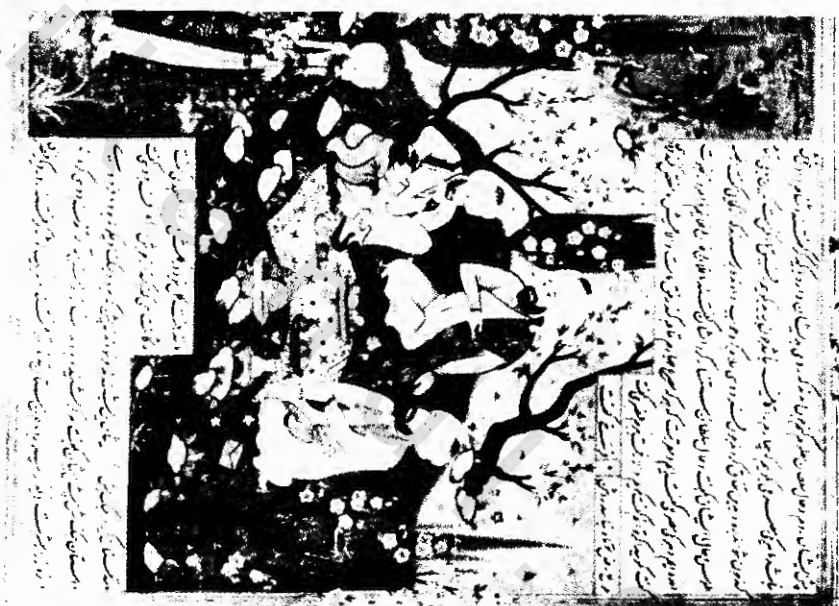
(١) بدأ محمدى في عمل الصور الفردية وهو في هراه في عام ١٥٢٧ واستمر في ذلك حتى عام ١٥٨٤ -

انظر Rice ، ما قبله ص ١٥٠ .



(شکل ۲۸۳)

صورة مسئلة لفظ في الريف من
عمل المصور « عملي » تبريز ،
٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م ، حاليا
بمتحف اللوفر ، باريس .



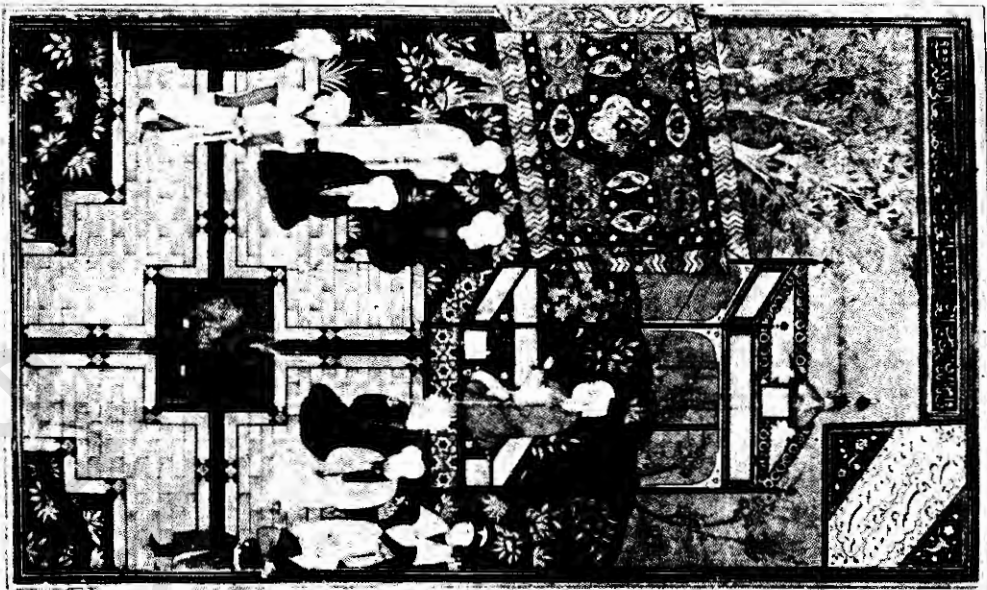
(شکل ۲۸۲)

صورة من خطوط « جاشاسب نامه »
تصوير فردوسي مع شمراء البلاط ،
تقريباً ٩٨١ هـ - ١٥٧٣ م ، (نسب
إلى منظور علي) ، العصر الصفوي ،
إيران ، توجد حالياً بالمتحف البريطاني



(شکل ۲۸۱)

صورة من خطوط الشاعر « جاشاسب »
المرثي السبعة ، صورت في بلاط
إبراهيم ميرزا بنشيد ، حوالي منتصف
القرن ١٠ هـ - ١٦ م .



(شكل ٧٨٥)

خطوط غفنة الأحرار للشاعر «جاني» .
تصور يوسف علي عرشه ، ٩٥٤٠ هـ -
١٥٤٨ م ، مدرسة تجاري ، مكتبة
مستر بيتي ، بالذنبره .



(شكل ٧٨٤)

صورة من خطوط المظفرات الخمسة
للأمير خسرو ، أسلوب حمدي ،
٩٨٣ هـ - ١٥٧٥ م ،
تبراز ، ٢١١٠ هـ - ١١١٠ م .

إحدى صور مخطوط المنظومات الخمسة الخاصة بالأمير خسرو (ش ٢٨٤) ونلاحظ بها اختلاف شكل لباس رأس السيدات .

وفي خلال القرن العاشر الهجري أى السادس عشر الميلادى ، ازدهرت فى بخارى مدرسة تصوير معاصرة للمدرسة الصفوية الأولى كان أسلوبها متأثراً بمدرسة بهزاد . ويرجع ذلك إلى انتقال عدد كثير من الخطاطين والمصورين من هراه إلى بخارى بعد سقوط العاصمة فى يد الأتراك عام ٩١٣هـ (١٥٠٢م) . ولقد تكررت هجرة المصورين إلى بخارى مرة ثانية حين استولى الشاه « إسماعيل » على هراه فى أوائل العصر التيمورى ، ثم هاجر من بقى فى المدينة من المصورين إلى بخارى بعد أن استولى ملوك الأتراك مرة ثانية على هراه ونهبوها عام ٩٤١هـ (١٥٣٥م) . لذلك نجد أن مدرسة تصوير بخارى قد قامت على أكتاف هؤلاء المصورين الذين كانوا متأثرين بأساليب المدرسة التيمورية التى ظهرت فى مدرسة هراه ، لدرجة يصعب معها التفرقة بين مدرسة هراه والإنتاج الأول للمدرسة بخارى . ومن أشهر المخطوطات التى يتضح فيها ذلك الأسلوب مخطوطة «تحفة الأحرار» للشاعر جامى ، كتبت فى بخارى لمكتبة الملك عبد العزيز الشيبانى (١٥٤٠-١٥٤٨م) ملك الأتراك فى عام ٩٥٥هـ (١٥٤٨م) ، وهى موجودة حالياً بمكتبة دبلن بإيرلندا . ويتضح التأثير بأساليب بهزاد فى إحدى الصور التى تمثل منظرًا من قصة يوسف (ش ٢٨٥) . ونلاحظ فى صور هذه المدرسة أن الرجال يلبسون عمامة تتكون من قلنسوة مرتفعة يلتف حولها شاش العمامة . ومن أشهر مصوري هذه المدرسة محمد مذهب تلميذ الخطاط والمصور مير على .

وبالرغم من اهتمام عباس بتجميل العاصمة الجديدة فى أصفهان إلا أن فن تصوير المخطوطات طرأ عليه تغيير كبير فى عهده وفى عهد من جاء بعده ، وأخذ يتدهور فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى لانصراف الحكام والأمراء عن تكليف المصورين بتصوير المخطوطات ، مما تسبب فى قلة عددها .

واقد انتقلت آخر مراحل مدرسة تصوير قزوین إلى أصفهان العاصمة الجديدة فى عهد الشاه عباس وعرفت باسم المدرسة الصفوية الثانية . واكتفى المصورون فيها بتقليد الصور المرسومة فى المخطوطات القديمة تقليدًا لم يصيبوا فيه نجاحًا أو توفيقًا .

إلا أننا نجد في بعض المخطوطات التي صورت في أوائل عهد الشاه عباس دقة وبراعة ، كما يظهر في بعضها تأثير مدارس التصوير السابقة إلى جانب الأسلوب الجديد . وأحسن مثل لذلك مخطوطة الشاهنامه الموجودة حالياً بمكتبة تشستر بيتي بلندن ، والتي صورت غالباً للشاه عباس بعد مدة وجيزة من توليه الحكم في الفترة ما بين عامي (٩٩٩ - ١٠٠٩ هـ) (١٥٩٠ - ١٦٠٠ م) . ويتضح ذلك في إحدى صور المخطوطة التي تصور « مقابلة فريدون لعائلته » (ش ٢٨٦) . ويظهر من دراسة هذه الصورة تأثر المصور بأسلوب مدرسة هراه القديم الذي تميز بالدقة في تسجيل التفاصيل الدقيقة التي تظهر في العماثر والأشخاص :

ويمكن اعتبار هذه المخطوطة حلقة الاتصال بين أساليب المدرسة الصفوية الأولى وطرز المدرسة الصفوية الثانية . ولقد اشترك في هذه المخطوطة المصوران زين العابدين ورضا الذي يمثل الأسلوب الصفوي الجديد ، كما أضاف المصور محمد زمان صورتين إليها في عام (١٠٨٧ - ١٦٧٦ م) . ويمكن اعتبار هذه المخطوطة من أبداع الآثار الفنية التي تمت في العصر الصفوي الثاني ، كما أن أسلوبها لا يقل عن المستوى الموجود في صور المخطوطات الإيرانية الشهيرة .

واقدم تميزت المدرسة الصفوية الثانية بأساليب جديدة في فن التصوير ظهرت في مخطوطات القرن السابع عشر الميلادي ، حيث قل عدد الأشخاص المرسومين في الصورة ، وأصبح المصور يكتفي أحياناً برسم شخص أو شخصين بقدر أهيف وخطوط منحنية وفي أوضاع متكلفة . وتتميز صور عهد الشاه عباس بظهور عمامم كبيرة ذات ريش وأزهار . كما شاع في تلك الفترة طريقة رسم الصور الكبيرة المستقلة لتزيين الجدران . ولقد تأثر المصورون الإيرانيون في هذه الصور بأساليب الفن الأوربي الذي تعرفوا عليه من الصور الأوربية التي كان يحملها التجار أو المبشرون .

وينسب هذا الأسلوب الجديد في التصوير الذي ظهر في أواخر القرن السابع عشر الميلادي إلى المصور والخطاط رضا عباس الذي كان نشطاً في إنتاجه في الفترة بين (١٠١٢ - ١٠٤٥ هـ) (١٦٠٣ - ١٦٣٥ م) .

يختلف كثير من العلماء على صاحب الصور التي وجد بها التوقيع « رضا » أو « اقارضا » (ش ٢٨٧) أو رضا عباس ، ويعتقد غالبيتهم أنه لم يكن هناك



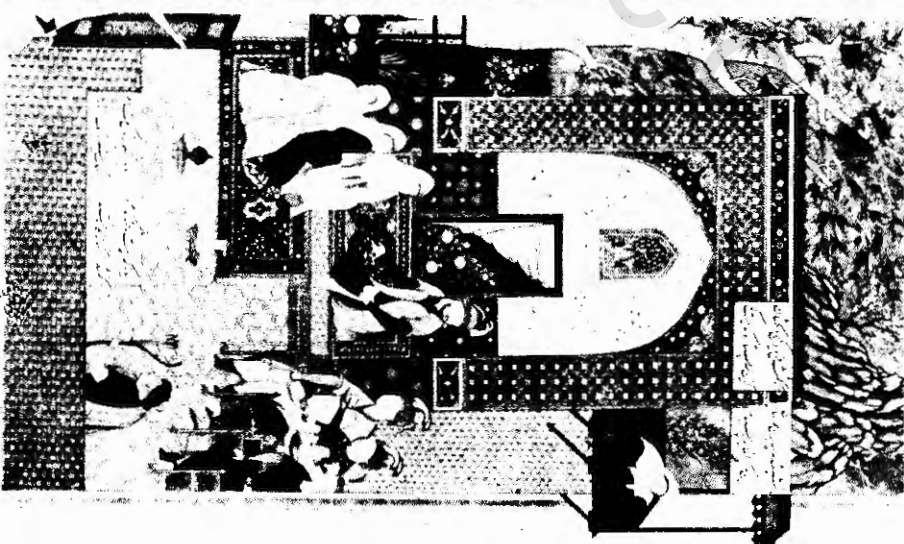
(مکتبہ ۲۸۸)

صورة فردية لرأعي من تصوير المصور
«رضا عباسي» ٢٠٤٢ هـ - ١٣٣٢ م
المدرسة الصفوية الثانية .



(۲۸۷ ج ۵)

صورة من قصص الأنبياء تصور
موسى وعصاه التي تحولت إلى ثنين ،
بيد السمور «أازمسا» ٩٩٩-١١٠٠
الدمية الصفوية ١٥٩٠-١٦٥٠ م ، حاليا بالمتحف
التاريخية ، إيران ،
الأطرية بياريس .



(شكل ٢٨٦)

صورة من خطوط الشاهدة تصور
فريدون مع أولاده ، ١٩٩٩-١٠٠٩ هـ
١٥٩٠-١٦٠٠ م ، المدرسة الصفوية
الثانية ، مكتبة شستر جيني بالذيرة .



(شكل ٢٩١)

جلدة كتاب مرزقة بزخارف المصمر
الصفوي، إيران.



(شكل ٢٩٠)

رسم تخطيطي من عمل المصور «ميرزا»
يرسم أستاذ «رضا عباسي»
المدبرة الصفوية الثانية، إيران.



(شكل ٢٨٩)

صورة فردية لتابع يعمل فنية بيد
المصور «رضا عباسي» ١٠٤٠ هـ -
١٦٣٠ م، المدرسة الصفوية الثانية،

ثلاثة مصورين أو اثنين باسم رضا^(١) ، بل هو مصور واحد غير في طريقة توقيعه . ومن الصور الجميلة التي توضح أسلوب رضا عباس وتحمل اسمه ، صورة الراعي (ش ٢٨٨) التي رسمها عام (١٠٤١ هـ - ١٦٣٢ م) ، ويتضح في هذه الصورة الخطوط المنحنية اللينة التي تميزت بها المدرسة الصفوية الثانية .

ومن الصور التي وجد عليها إمضاء رضا عباس وشك بعض الباحثين في نسبتها له ، صورة شاب من بلاط الشاه يرتدى سروالا حريراً منسوجاً بخيوط من الذهب (ش ٢٨٩) ، موجودة حالياً في مكتبة تشستريتي بدبلن . ويتضح في هذه الصورة شكل الرجال المخنثين الذين يصعب أحياناً التمييز بينهم وبين الفتيات ، كما نلاحظ اعتناء المصور برسم تفاصيل الزي .

ولقد ساد أسلوب رضا عباس في تصاوير أصفهان في النصف الثاني من القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الميلادي . ومن المصورين الذين ذاع صيتهم في هذه المدرسة الفنية ، المصورون « محمد يوسف » و « حيدر نقاش » و « محمد تبريزي » و « معين مظفر » و « محمد علي تبريزي » . وكان « معين » من أبرز مصوري هذه المدرسة وظهرت له مهارة خاصة في رسم وجوه الأشخاص ، ويتضح ذلك في إحدى الصور التي رسم فيها أستاذه رضا عباس (ش ٢٩٠) . وتظهر في هذه الصورة الخطوط المنحنية التي تميز بها أسلوب رضا عباس .

ولقد تدهور أسلوب الفن الإيراني في حكم الشاه عباس الثاني (١٠٥٢-١٠٧٧ هـ) (١٦٤٢ - ١٦٦٦ م) الذي كان معجباً بالفن الغربي فأرسل المصور محمد زمان ليدرس فن التصوير في روما ، وأدخل هذا المصور كثيراً من الأساليب الأوروبية على مدرسة التصوير الإيرانية عندما رجع عام ١٠٨٧ هـ (١٦٧٦ م) .

ازداد تأثر المصورين الإيرانيين بالأساليب الغربية في القرن الثامن عشر الميلادي وتخلوا عن كثير من الأساليب الإيرانية التي تميزت بها مدارس التصوير السابقة . ويظهر ذلك في أعمال مصوري هذه الفترة أمثال محمد بكير وغيره . وكان هذا بدء اضمحلال فن التصوير القوي في إيران .

(١) انظر رأى بعض العلماء في ذلك Schoukin. Les Peinture des Manuscrit de Shah

التذهيب والتجليد :

يتميز العصر الصفوي بازدهار فنون الكتاب « الكتابة ، التذهيب ، التصوير والتجليد » واشتهرت مدينتا تبريز وقزوین بصناعة الجلود الفاخرة المزخرفة بمناظر مشابهة لما تحويه المخططات ، وكانت هذه الزخارف تلون بألوان الالاکر (ش ٢٩١).

تظهر في أواخر القرن الثامن عشر في إيران نهضة فنية جديدة لفن التصوير في عهد الملك فتح علی شاه (١٢١١ - ١٢٥٠هـ) (١٧٩٧ - ١٨٣٤م) ، أحد ملوك أسره كاجار التركية التي حكمت إيران في الفترة من (١١٩٣ - ١٣٤٥هـ) (١٧٧٩ - ١٩٠٦م). وكان هذا الملك من مشجعي فن الكتاب والتصوير ، إلا أن أغلب هذه الصور كانت صوراً شخصية زيتية يتضح من دراستها أن أسلوبها أوربي أكثر منه إيرانيّاً .

يتضح من دراسة الفن الإيراني الصفوي، اعتماد الفنان المعماري إلى حد كبير على إحداث تأثير زخرفي بألوان جميلة في عمارته ، ولقد توصل إلى ذلك بتغطية السطوح بالبلاطات الخزفية والفسيفساء . كما تميز ذلك العصر أيضاً بازدهار صناعة السجاجيد ذات الزخارف المتعددة ، وانتشرت هذه الصناعة في مراكز كثيرة . ولقد تميزت مدارس التصوير في ذلك العهد بارتفاع شأن المصورين الذين اهتموا بتوقيع أسمائهم على الصور التي قاموا بعملها .